مسرحية

رَجُلُ اللّٰه

تأليف : جبرييل مارسل

ترجمة وتقديم : فؤاد كامل

مقدمة

مسرحية "رجل الله" بقلم المترجم

انتهى « جبرييل مارسل » من تأليف هذه المسرحية عام ١٩٢٢ ، ولكنها لم تعرض على خشبة المسرح الا فى عام ١٩٤٩ . ومعنى هذا أنه كتبها قبل أن يتحول نهائيا الى الكاثوليكية عام ١٩٢٩ ، ومع ذلك فانه لم يقصد بها أن تكون اتهاما موجها الى البروتستانتية، أو ادانة لها ، أو سخرية منها . فقد كانت خالته، التى أصبحت له أما ثانية بعد وفاة أمه ــ من المذهب البروتستانتى ، كما أنه صاهر فيما بعد أسرة بروتستانتية كبيرة ، هذا بالاضافة الى أنه كان على صداقة وثيقة بكثير من رجال الدين البروتستانت ، وبخاصة الراعى بوجنر Boegner الذى كانت زوجة مارسل احدى قريباته . فلكى نحسن الحكم على المسرحية ينبغى أن نستبعد منذ البداية فكرة الاستهانة بالبروتستانتية أو الزراية بها .

وربما كان « مارسل » يهدف ــ على الأرجح ــ الى ابراز وتصوير حالة نادرة لما يمكن أن تحدثه الوظيفة الروحية من تشويه ان لم تؤخذ بما ينبغى أن تؤخذ به من حب وتكران للذات ، أو لعلنا نستطيع أن نقول فى بساطة ان العيب يكمن دائما فى الأشخاص ولا يكمن فى الدين أو فى الايمان .

وعلى عكس « جان ــ بول سارتر » الذى يرى أن « الجحيم هو الآخرون » ، يذهب جبرييل مارسل الى أن الجحيم هو الذات المغلقة على نفسها « ... الذات التى لا تتفتح على حب الغير ، ولا تعكف الا على نفسها ، ولا تكف عن تقويم هذه النفس وتقديرها ونقدها » .

فالفكرة الرئيسية فى هذه المسرحية هى « عدم التفتح للغير » Lindisponibilite وهى حالة تصيب أولئك الذين يستغرقون فى محاسبة أنفسهم بحيث يصيبهم نوع من الهوس الأخلاقى ، فلا يفطنون الى ما يدور فى نفوس أقرب الناس اليهم .

وهذه بالضبط هى حالة كلود ليموان أو رجل الله فى هذه المسرحية ، فهو قسيس فى احدى المدن الفرنسية الصغيرة ، قد كرّس نفسه تكريسا تاما للمهنة التى يمارسها، بنفسه بحيث لم يعد فيها مكان للاخرين ، وأصبح هو والوظيفة التى يقوم بها شيئا واحدا ، وشيئا فشيئا اكتست شخصيته بطبقة صلبة ، أو بقناع خارجى انطبعت عليه مجموعة من الحركات الآلية، والتصرفات المتزمتة الجامدة.

ويفاجأ « كلود ليموان » ـ ذلك القسيس الذى يتلقى اعترافات الناس ـ باعتراف كامل من زوجته « ادميه » بأنها قد خانته مع جار لهما يدعى « ميشيل سانديه » ، وذلك بعد أن اتسعت بينهما الهوة نتيجة لاكتشافها أن زوجها الذى يعيش للآخرين ـ بحكم وظيفته ـ لا يشعر بما يعتمل فى نفسها من آلام ، وما تعانيه من فراغ ووحدة . وحين يتلقى « كلود ليموان » هذا الإعتراف من زوجته يمضى فى « تمثيل » وظيفته الى النهاية ، فيصفح عنها تحاشيا للفضيحة ، ولأن هذا الصفح ينسجم مع شخصيته بوصفه قسيسا ، ويجعله أكثر تقديرا لنفسه ، وأخيرا لكى ترتبط به « ادميه » ارتباطا أوثق ، اعترافا منها بجميله ، بيد أنه أثناء انشغاله باتقان دوره وتجويده ، يتناسى العذاب الذى تكابده « ادميه » ويتغاضى عن الجرح العميق الذى لم يستطع الصفح أن يشفيه ، ومع ذلك ، تشعر « ادميه » بغبطة خبيثة من سذاجة زوجها الذى يدعى أنه يشفى الآخرين ، ولكنه لا يستطيع أن يشفيها هى ، ومن أجل هذا يرتد ذلك الصفح عليه ، فتقول له « ادميه » ، وكأنها تصفعه :
« أنت لم تغفر لى لأنك كنت تحبنى .. فماذا كنت تريدنى أن أفعل بصفحك ؟ »

وكان من الممكن أن تستمر بهما الحياة على هذا النحو ، لولا أن « ادميه » انجبت من عشيقها طفلة هى « اسموند » . وكان أبوها « ميشيل سانديه » قد رحل عقب اعتراف « ادميه » بعلاقتهما . ويعود العشيق بعد غيبة عدة سنوات ، تكون فيها « اسموند » قد أصبحت فتاة ناضجة ، ويطلب أبوها الحقيقى أن يراها لانه أصيب بعلة لا أمل فى شفائها ، وهو الآن على شفا الموت ، وحين يعلم « كلود ليموان » بهذه الرغبة ، ينقلها الى زوجته ، ويتم لقاء بين « ادميه » و « ميشيل سانديه » يتحدثان فيه بصراحة عن تلك المغامرة التى قربت بينهما منذ عشرين عاما ، ويذكرها « ميشيل » بأنها لم تتبعه خوفا وجبنا ، وبأنها آثرت الأمان والدعة تحت سقف رجل لا يحبها .

ويجتاز القسيس أزمة ضمير عنيفة ، يحاول فيها أن يسبر أغوار روحه ، فيلمس خداعه لنفسه ، وأن كرمه الظاهرى نحو زوجته ، أو ذلك السخاء الذى أبداه بحكم مهنته ، ما هو الا ضرب من هذا الخداع الذاتى ، وينغمس فى هوة الارتياب فى النفس والاتهام لها . ولا يجد مناصا فى نهاية الأمر من الافضاء لأسمولد بالحقيقة ، وهى أنها ليست ابنتـه .

وكانت « أسموند » تشعر طيلة هذا الوقت بأنها تحيا فى جو غير طبيعى ، ولهذا اخذت تتردد على جار لهم يدعى « ميجال » ، وكان هذا الرجل قد انفصل عن زوجته بسبب اصابتها بالجنون ، وهو يعيش الآن مع ابنتيه منها ، وأكثرت « اسموند »من زياراتها لميجال بحجة العناية بهاتين الطفلتين المسكينتين . وحين يفاجئها من كانت تعتقد انه أبوها بذلك الاعتراف الأليم ــ وكان يحاول اقناعها بأنه لم يكتشف خيانة أمها الا مؤخرا ــ تقرر الرحيل عن هذا البيت الذى يخلو من الحب ومن الحقيقة ، وتقذف فى وجه كلود ليموان بهذه العبارة وهى « أن ايمانه لم يكن سوى اناء ملون يخفى عنه الوقائع الحقيقية . » وتمتنع عن تلبية رغبة ابيها المحتضر ، بل تذهب الى منزل جارها « ميجال » لتعمل مشرفة على تربية طفلتيه اللتين تشعر نحوهما بحب صادق عميق وكأنهما ابنتاها .

أما « كلود ليموان » فيشعر بأن فراغا هائلا ــ كأنه التنين ــ يفغر فاه تحت قدميه ، فيردد تلك العبارة السقراطية « ان نعرف انفسنا على حقيقتها » ويشعر أنه ارتكب خطأ فادحا يدفع ثمنه الآن ، وهو أنه لم يؤسس رسالته الروحية على الحب ، وبهذا أصبحت خاوية من المضمون ، ولم يقم مبادءه ومثله العليا على أساس أنه انسان من لحم ودم ، وبهذا تحولت حياته الى خواء لا معنى له ، ويكاد يجعل نفسه مسئولا عن خطيئة امرأته ... انه لم يستطع أن يفهم أقرب الناس اليه ، كما أنه لم يشعر اطلاقا بالغيرة كما يشعر بها غيره من الرجال ، ولهذا تراه « ادمية » مجردا من آدميته ، وأنه أحق منها بالعلاج لأنه يفتقر الى المشاعر الانسانية الأولية ، كالحب والبغض والغيرة والالم . انه يغطى امتلاءه بنفسه بحجج جميلة منها : أنه انسان ذو ضمير ، وأنه صادق مع نفسه . غير أن هذا النوع من الصدق ينمّى فى النفس نوعا من النرجسية الروحية ، بحيث ينحصر الوعى فى حدود الذات الضيقة ، بدلا من أن يكون رحبا فياضا ، متفتحا على الحياة ، وعلى اسعاد الآخرين ، فنحن فى الواقع مسئولون وجوديا عن الغير ، او كما يقول فيلسوف وجودى : « ان أقصر طريق من ذاتى الى ذاتى تمر بمنعطف الآخر . »

ينبغى اذن أن يواكب اخلاصنا لانفسنا ، اخلاص « للقوانين الطبيعية ، ولتطلعاتنا المتجاوزة للطبيعة على حد سواء ، كما لا ينبغى أن تتناقض مثالياتنا مع واقعنا الانسانى واحساسنا بأنفسنا،بل ينبغى أن تصل بنا المثالية الى ذروة الواقع وتمامه . والله لم يتجسد ــ وفقا للايمان المسيحى ــ لكى يحطم طبيعتنا الانسانية ، بل لكى يرفعها الى اعلى درجات الكمال .

وفى نهاية المطاف نرى القسيس ، وقد أشرف على هاوية الانتحار ، بيد أن واجبا روتينيا من واجبات أبرشيته اليومية يدفعه الى العدول عن هذه الفكرة . وهكذا يبيّن لنا « مارسل » أن الناس لا يجدون الشجاعة المطلوبة فى رأيه لاحتمال حقيقة موقفهم الا فى حضن الجماعة .

وقد أجمع النقاد على أن « جبرريل مارسل » قد بلغ فى مسرحيته« رجل الله » ذروة صنعته الدرامية : فذلك التدفق الحار فى الحوار بين الاب والام ، وبين كل منهما وابنتهما ، وذلك التصوير المتقن لشخصية القسيس فى أزمته الروحية العنيفة ، وذلك التجميع البديع للخيوط التى ستتألف منها مصائر الشخصيات الثلاث الرئيسة فى المسرحية ، وذلك التصريح الحاد بكل ما ينبغى أن يقال ، والتلميح الدقيق ، والايحاء اللبق ، بكل ما لا ينبغى أن يقال ... كل هذا يدل على سيطرة « جبرييل مارسل » على فنه فى هذه المسرحية على الرغم من أنها من مسرحياته المبكرة .

على أن جوهر ما نشعر به من قوة درامية فى هذه المسرحية يكمن ــ فى رأيى ــ فى تلك الحيرة ــ أوقل البلبلة ــ التى تتولد عن ازدواج المشاعر ، وعن الالتباسات والتساؤلات التى لا تنفك تلح على المشاهد طوال المسرحية : هل اغتفر «كلود ليموان » خطيئة زوجته بدافع من الكرم ، وسخاء النفس أم بدافع من الانانية ؟ هل قبلت « ادميه » هذا العفو على سبيل الندم أو على سبيل الجبن ؟ هل تتكيف «ادميه» مع حياة تبدو شرعية فاضلة ، أم تلحق بالرجل الذى تحبه ؟ هل يمكن أن نمضى فى حياة مبنية على أختيار يقطع كل صلة بينه وبين الماضى ؟ هل .. وهل .. الخ .

وهكذا نستطيع أن نقول بحق ان هذه المسرحية تنتمى ــ شكلا ومضموونا ــ الى فن المسرح العظيم !

شخصيات المسرحية

● كلود ليموان	Claude Lemoyne
● الدكتور فرنسيس ليموان	Docteur Francis Lemoyne
● ميشيل ساندين	Michel Sandier
● ميجال	Mégal
● فريد جينو	Fred Junod
● رينيه الصغير	Le Petit René
● ادميه	Edmée
● أسموند	Osmonde
● مدام ليموان	Mme Lemoyne
● مدموازيل اوبونو	Mlle Aubonneau
● فيليسي	Félicie

الفصل الأول

(صالون عائلة « ليموان » . . الأثاث عادى مبتذل تشيع فيه البرودة . . . على الجدران لوحات دينية « لبورنان » ونسخة من لوحة عذراء سان « سكست » . .

المنظر الاول

اسموند وميجال

(الاثنان واقفان ، « ميجال » لم يخلع معطفه) . .

ميجال : أرجو المعذرة يا آنستي . . أرى أنك مازلت تتناولين طعامك . . ومع ذلك فقد طلبت من الخادم ألا تزعجك . . .

أسموند : تفضل بالجلوس . (يجلس ميجال) . ليس لهذا أية أهمية ، فنحن نتناول إفطارنا أيام الآحاد في ساعة متأخرة جداً . فهناك دائماً اشخاص يودون التحدث مع أبي عند خروجه من المعبد . . هذا إلى أننا كدنا نفرغ من تناول الإفطار .

ميجـال : لقد كان لطيفاً منك أن تقترحي الخروج لحظة مع الأطفال هذا العصر . . ذلك إذا لم أكن قد أخطأت الفهم . . وقد أردت أن أتأكد حقاً أنني لا أسيء استغلال . . .

أسموند : كلا ، على الإطلاق . . . فأنا بالصدق لست مشغولة هذا العصر

ميجـال : لست أدرى كيف أشكرك . . خاصة وأنني لم أكن أعلم ما أصنع بالأطفال اليوم . . فالخادم غائبة طيلة النهار . . وأنا ذاهب إلى « إيبينيه » .

أسموند : ومدام ميجـال ؟

ميجـال : لا تغيير هناك . . . ذلك أن مرضاً مثل هذا المرض.. هذا إذا استطعنا أن نسمى ذلك مرضاً .

أسموند : أهي تتعذب ؟

ميجـال : من المحال أن يحكم المرء . . فهي تشكو باستمرار . . ولكن الأطباء يؤكدون لى أن الإيحاء الذاتى دخـلا كبيراً في الموضوع .

أسموند : أه ؟

ميجـال : والواقع أن هذه هى السمة الوحيدة التى تذكرنى بما كانت عليه من قبل . . وإلا فإنه لو كان الأمر على

خلاف ذلك ، لما كانت هى نفس الشخص. .
(بصوت خافت) بل إنه لم يعد في وسعنا أن نقول إنها شخص على الإطلاق . .

(صمت) . .

أسموند : لست أدرى اذا كانت « سوزان » قد أنبأتك بأنها أجابتنى إجابة جيدة جداً في مدرسة الأحد هذاالصباح

ميجال : من حسن الحظ .

أسموند : كما أنى راضية تماماً عن « إيفون » .

ميجال : إنهما طفلتان وديعتان . . ولكن إلى أين تصحبينهما هذا العصر ؟

أسموند : لست أعلم على وجه التحديد .

ميجال : إذا تصادف ولم أعد من « إيبينيه » في ساعة متأخرة جداً ، فإننا نستطيع أن نفعل ما فعلناه منذ خمسةعشر يوما . . .

أسموند : (متهربة) سنرى . . . لندع هذا الأمر لوحيالساعة

ميجال : (وهو يتفحصها) . . هذا جميل . . تصفيفة الشعر هذه تناسبك تماما .

(صمت) . . .

المنظر الثاني

الاشخاص ـ انفسهم ـ ادميه ـ كلود ـ مدام ليموان

إدميـــه : (موجهة خطابها إلى ميجـــال الذى انتصب واقفاً) كلا . . يا ســـيدى . . أرجـــوك

(ثم موجهة خطابها إلى مدام ليموان)

أمى . . أقدم لك السيد ميجال الذى يسكن فوقنا . . والسيد ميجال هـــو والـــد الفتاتين الصغيرتين اللتين التقيت بهما أمس على السلم .

مدام ليموان : سيدى . . . إننى مسرورة جداً بمعرفتك . . .

كلـــود : هل لك في فنجان من القهوة ؟

ميجـــال : (واقفاً) أشكرك . . ولكنى مضطر للذهـــاب إلى إحدى الضواحى . . . وكنت أعرب للآنسة أسموند عن مبلغ شكرى وعرفانى بالجميل لكل ما تصنعه من أجل طفلتىّ . . فقد أقبلت ذات مساء لكى تساعدهما على استظهار دروسهما . . وهى تريـــد الآن أن ترافقهما للنزهة . .

إدميــه : (في جفاء) . . ولكن هذا ، يا سيدى ، أمر طبيعى ما دام لديها من الوقت ما يسمح لها بذلك ،

ميجــال : لست من هذا الرأى . . لا تكلفوا أنفسكم أى عناء . . إلى اللقاء يا سيدى العزيز . . وأنت يا سيدتى . . وأنت يا آنستى . . . (ينحنى أمام مدام ليموان ، ثم يغادر الصالون) . .

المنظر الثالث

الاشخاص انفسهم عدا ميجال

مدام ليموان : هذا السيد يبدو مهذبا كل التهذيب .

إدميــه : إننا لا نعرفه على الإطلاق .

مدام ليموان : إن نظرته تنم عن الصراحة . . وفمه مفعم بالحنان . .

أسموند : أتريدين شيئاً من القهوة ياجدتى ؟

مدام ليموان : قليلا في قاع الفنجان فحسب ياعزيزتى . . إن عمك فرانسيس يؤنبى على شرب القهوة . . هذا يكفى . . هذا يكفى . .

كلــود : وبهذه المناسبة ، لماذا لم يحضر فرانسيس لتناول إفطاره معك ؟

مدام ليموان : كان لابد له من أن يعود أحد مرضاه في ضواحي باريس ، هذا إلى أنه سيأتى لمرافقتى . (بصوت خافت) أعتقد أن لديه ما يريد أن يقوله لك .

إدميـــه : كيف ؟

مدام ليموان : قلت إنه سيأتى لمرافقتى .

إدميـــه : تعلمين أننا لانراه مطلقاً . (توجه حديثها إلى كلود) ان أخاك لم يأت أكثر من مرتين أو ثلاث مرات منذ انتهاء العطلة .

مدام ليموان : ويجب أن يقال أيضاً : إنه مشغول جداً . . وقد رأيت ذلك بنفسى منــذ أن أقمت هنــا . . المستشفى ، والزيارات ، والمواعيد ، ومراسلاته مع الأكاديمية . . إنى أعجب كيف يحتمل هذا كله . (محاطبة كلود) على كل حال . . إنه مثلك ياطفلى العزيز . . أوه ! نعم لست أنا الذى ألومك على القيام بكل واجبك ، وبأكثر من واجبك ، كما يقول والدك . . ولكن يبدو أن العمل في هذه الكنيسة ثقيل . .ثقيل جداً . . فهل تقوم مع هذا كله بما يكفى من التمرينات وأنت يا إدميه ، هل تحرصين على ملاحظة ذلك ؟.

إدميــة : نحن على أبدع حال .

مدام ليموان : إن الحياة في باريس متعبة في حد ذاتها ، إذا قيست بالحياة في لوزان . إن قهوتك لذيذة وينبغي أن تعطيني وصفتها كي أصنع مثلها لفرانسيس . .

إدميـــه : آسفة لأني لا أستطيع أن أصف لك شيئاً . . إذ لابد من شراء البن من البقال الذى في مواجهتنا . معذرة ياوالدتي ! يجب أن أبحث عن مقطوعة للمطالعة من أجل « اتحاد الفتيات » الذى أرعاه (تنحنى أمام مكتبه منخفضة) .

مدام ليموان : ولكن . . لنعد إلى الحديث عن هذا السيد ، فهل تشغلين نفسك بانتظام بفتاتيه اللطيفتين ياأسموند ؟ إن هذا شيء لطيف من جانبك .

أسموند : إنى أكرس لهما بضع لحظات من حين إلى آخر .

مدام ليموان : وأين أمهما ؟

إدميـــه : (وهى تتصفح كتاباً) إن أمهما نزيلة أحد متشفيات الأمراض العقلية .

مدام ليموان : ياللفظاعة !

إدميـــه : (مخاطبة أسموند) — إنى أعجب بعض الشيء كيف استطعت تبديد عصر هذا اليوم ، وعيد الميلاد يوم

الأربعاء ، ويبدو أن لديك أشياء كثيرة ينبغى أن تقومى بها .

أسموند : الأمر على العكس من ذلك . فأنا قد انتهيت من أعمالى مبكرة هذا العام .

إدميــه : إن هديتك التى سوف تقدمينها إلى عرابتك لم تبدئى العمل فيها بعد . .

مدام ليموان : إن الحزن ينتابنى كلما تصورت أننى لن أرى شجرة عيد الميلاد عندكم . . إذ أن هنرى ولوليت يعتمدان علىّ وستملأ الحسرة قلبيهما إذا لم أحتفل معهما بالعيد . . من العسير جداً إرضاء الناس جميعاً . . وهذا هو مصدر شقاء الأسر التى تتحد فيما بينها أوثق اتحاد .

إدميــه : (إلى أسموند) — أتذكرين قصة « يتيمة الدائرة الكنسية الصغيرة » ؟

أسموند : أرينى .

(تواصل أسموند تقليب صفحات الكتاب) .

مدام ليموان : أنا أذكرها . إنها قصة مشوقة . . وعلى كل حال إن جميع الكتب المنقولة عن الإنجليزية رائعة .

إدميــه : (وهى تضع الكتاب) — يبدو لى أن هذا الكتاب عاطفى

إلى مخيف ، في حين أن هؤلاء الفتيات الصغيرات على استعداد تام للبكاء من هذه الترهات .

كاسود : المهم هو العمل على تشويقهن .

إدميه : لاينبغى أن يكون ذلك بأى ثمن . .

مدام ليموان : مما لايضر ، أن يكون هناك قدر قليل من الغرابة . قدر بسيط جداً . .

(موجهة كلامها إلى أسموند) ما رأيك ياعزتى ؟

أسموند : (وقد نهضت) لست من هذا الرأى .

إدميه : أظنك لم تنسى أن الآنسة « جنتى » تعتمد عليك لكى تقومى لها بشيء من المطالعة في الساعة الخامسة ؟

أسموند : (في عصبية) اطمئنى .

إدميه : من الجميل جداً أن يخلق المرء لنفسه التزامات جديدة.

أسموند : إلى اللقاء ياجدتى . . ماذا تفعل هذاالعصر ياأبى ؟

كلسود : ؛ سأكتب خطاباً أو خطابين ، ثم على أن أعد موعظة الغد .

إدميه : سيمونان الصغير ؟

مدام ليموان : أنا على يقين من أنك لا تنسين شيئاً مطلقاً يا إدميه . . هذا رائع .

أسموند : (في مرارة) كلا . . إن أمي لا تنسى شيئاً على الإطلاق . . إن أمي مريعة .
(يخرج) . .

المنظر الرابع

الاشخاص انفسهم عدا اسموند

مدام ليموان : الصغيرة العزيزة عصبية قليلا .

كلـــود : (مخاطباً زوجته) . لعلها تشعر بأنها لا تظفر بما يكفي من الثقة .

إدميـــه : وأنا لا أطلب أفضل من أن أوليها كل ثقتي . . ولكنها على الرغم من مظهرها الهادئ تبدو مندفعة ، وأنا ألاحظ هذا الاندفاع يوماً بعد آخر .

كلـــود : إني لأتساءل : ألسنا حين نسجل أخطاء الغير نبالغ في هذه الأخطاء ، إذا جاز لنا هذا التعبير . . الا تعتقدين ذلك يا أماه ؟

إدميـــه : إذن . . . أيجب على المرء أن يغمض عينيه ؟

كلـــود : أنا لا أقول ذلك ، ولكن طريقتنا في معاملة الآخرين.

إدميـــه : أعلم ذلك ، ولكن مثل هذه النظرية من شأنها أن تؤدى بنا إلى الإسراف . .

مدام ليموان : مهما يكن من أمر فأنا شغوف بحفيدتى غاية الشغف ... تعلمان أنه يجرى العمل الآن في لوزان على تنظيم بعض المحاضرات خلال فصل الصيف وبعض الرحلات و . . .

كلــود : وأنت . . ستذهبين إلى هناك . . .

مدام ليموان : طبعاً . .

كلــود : ولكنني لا أشعر بأية رغبة في إعارتك ابنتى

إدميــه : سنتحدث عن ذلك فيما بعد . . (مخاطبة كلود) ولكن بماذا سترد على السيد جينــو ؟ (مخاطبة مدام ليموان) : إن قسيس « لاشو دى فون » يطلب منا أن ندله على بنسيون ليقيم فيه ابنه الذى يستعد لامتحان « الليسانس » . . أتعلمين ؟ ان اسمه « فريد » .

كلــود : إذا كنت تعتقدين أننا نستطيع أن نخلى له الحجرة الصغيرة ، وأنها تلائمه . .

إدميــه : ينبغى على الشباب أن يتكيف مع الظروف . . أليس كذلك يا أماه ؟

مدام ليموان : كم أكون سعيدة لو أن فرانسيس لم يرغمنى على

النزول عنده . . ولكنى على كل حال على خير ما يرام .

كلـــود : إذن فسأرد عليه بهذا المعنى .. (يخرج)

المنظر الخامس

ادميه ــ مدام ليموان

مدام ليموان : خبريني يا إدميه ... إن فريد شاب ، ألا تعتقدين أن أسموند . . ؟

إدميـــه : انه شاب مدلل . . ولا أظن أن أسموند يمكن أن تميل إلى هذا الطراز من الشبان . . كلا . . إنه ليس ذلك الشخص الذى يمكن أن أخشى عليها منه . .

مدام ليموان : أتريدين أن تقولى إن لديك مخاوف أخرى ؟

إدميـــه : نعم . . وكلا . . فمثلا هذا السيد الذى غزا قلبك للوهلة الأولى . .

مدام ليموان : يالها من مبالغة !

أدميـــه : حسن . . لن أفاجأ إذا علمت أنه بسبيل إغراء أسموند .

مدام ليموان : (مستنكرة) ولكن . . ماهذا الذى تقولين يا إدميه !

إدميـــه : إن أسموند لا تميل كثيراً إلى الأطفال على وجه العمـــوم . . ولا شك أن الـــذهاب إلى مدرسة الأحد عبء ثقيل بالنسبة إليها . . وعلى هذا الأساس يجب أن تدركى أن العطف الذى تبديه نحو هاتين الطفلتين يبعث على الدهشة إلى حد كبير .

مدام ليموان : إن أسموند تشبه والدها الذى هو العطف بعينه . وأخيراً أريد أن أقول إن وجود هذا المثل أمام عينيها دائماً لا يجعلنا نعجب إذا رأيناها تعطف على هاتين الطفلتين المسكينتين . . ثم انظرى يا إدميه . . في الحياة . . . (في شىء من الرزانة) ينبغى أن نشعر دائماً بالثقة في غيرنا .

إدميـــه : آه ؟

مدام ليموان : دائماً . . ورغم كل شىء . .

إدميـــه : بماذا أستطيع أن أجيبك ؟

مدام ليموان : لقد رأيت حولى كثيراً من الأشياء القبيحة ، يا إدميه . . ومع ذلك : وبرغم هذه التجارب المحزنة . .

إدميه : (بصوت متهدج) ماذا تعنين بهذا التلميح ؟

مدام ليموان : (متمالكة نفسها مرة أخرى) أوه . هـــذه قصة قديمة .

إدميـــه : أه . . نعم ؟

مدام ليموان : ولكن . . لقد كان هناك حينئذ ما يدفع إلى اليأس .

إدميـــه : أجل . . أجل . . أجل . . من العجيب جداً أن أن كلود لم يشر مطلقاً أمامى . . .

إلى تلك الحادثة التى يبدو أنها قلبت كيانك في حينها . أليس كذلك ؟ انها سر بلا شك ؟ سر لا يخصه أن ... (تأتى مدام ليموان بحركة تنم عن الرغبة في التخاص من الموضوع)

مدام ليموان : ولكنه من الطبيعى . . إذا كان لديك هذا القلق . . .

إدميـــه : (بعد أن ألقت إليها بنظرة متسائلة) أه . . .

حسن . . إنك تتحدثين الآن عن أسموند . . لم أكن أتابع حديثك . . من المبالغة أن نسمى هذا قلقـــاً . . ولكننى أرتاب . . . هذا كل ما في الأمر .

مدام ليموان : ولكن يبدو لى برغم ذلك أنها تشبه أباها إلى حد . . .

إدميـــه : أترين ذلك ؟

مدام ليموان : في الأخلاق على كل حال . .

إدميـــه : (في لهجة غامضة) أجل ، أجل . .

مدام ليموان : « إن لنفسيهما نبرة واحدة » كما كان يقول زوجي المسكين . .

إدميـــه : لم أحظ بالاستماع إلى نَفَسِ ابنتي .

مدام ليموان : ولكن إذا كان كلود يشاطرك هواجسك . . إذن لكان قد أنبأني بكل تأكيد .

إدميـــه : هل ينبئك كلود بكل شيء ؟

مدام ليموان : بكل ما له الحق في أن يفضي به إليّ .

إدميـــه : ثم إنني عندما أرى هذا المجلد الصغير الذى يبعث به إليك كل أسبوع . .

مدام ليموان : ليس في مقدورى مطلقاً أن أعبر عن الأثر الطيب الذى تركته في نفسي هذه المراسلات . . لقد أعدت قراءة رسائل كلود القديمة منذ عهد قريب . . إن منهـا رسائل جميلة ، ومؤثرة حتى كدت أن أنسخ لك منها بعض الفقرات . .

إدميـــه : ما هو تاريخ هذه الرسائل ؟

مدام ليموان : الأعوام الأولى من زواجك .

إدميـــه : وتقولين إنها مؤثرة ؟

مدام ليموان : كان كلود في هذه الفترة يجتاز أزمة ضمير مؤلمة جداً . . وأنت تعلمين جيداً أنه فكر بعض الوقت في التخلي عن منصبه . . .

إدميه : كيف ذلك ؟

مدام ليموان : لا أظنك تريدين مني الاعتقاد بأنك لم تفطني إلى شيء

إدميه : كلا ، لم أفطن إلى أي شيء . . إن الأوقات الأولى من حياتنا الزوجية كانت . . . . الواقع أننا لم نكن قد وصلنا إلى حد الألفة بعد . . ولكنني أطلب منك مرة أخرى أن تحددي لي بدقة تاريخ هذه الخطابات ، هل بعث بها إليك قبل عام ١٩٢٨ مثلا ؟

مدام ليموان : إنها جميعاً سابقة على عام ١٩٢٨ ولماذا تسألين هذا السؤال ؟

إدميه : أمي . . أؤكد لك أنه لا داعي للتظاهر . . فأنت قد اعترفت منذ لحظة بأنك . . صه !

المنظر السادس

الاشخاص انفسهم ــ كلود

كلود : أتذكرين عنوان جينو ؟ إنني لا أستطيع العثور على خطابه . . أهو لا يزال شارع كارل ماركس ؟

إدميــه : يبدو أنهم انتقلوا إلى عنوان آخر . . ألا تذكرين يا أماه ؟

مدام ليموان : إن صلتى بهم قد انقطعت . . فقد أصبحوا بلاشفة مثل سائر سكان « لا شو دى فون » . (مخاطبة كلود) : وكان والدك الذى يتمتع بفطرة سليمة .. يخشى حدوث هذا . .

إدميــه : من الغريب حقاً ألا تجد هذا الخطاب ، فقد وضعتُه هذا الصباح فى ملف الخطابات التى لم يرد عليها بعد.

كلــود : أه . . حسن . .

إدميــه : وبعد يا كلود ! . . ألم أقل لك مرة أخيرة أن تضع شيئاً من النظام فى هذا المنزل !

كلــود : النظام إلى هذا الحد ، إن ذلك يدفعنى إلى الجنون . . سأنهى هذا الخطاب . . ثم أعود (يخرج) .

المنظر السابع

ادميه ــ مدام ليموان

إدميــه : أما عن أزمة الضمير هذه . . إن كلود من أولئك الأشخاص الذين لم يعرفوا مطلقاً بعض أنواع القلق . كل شىء لديه واضح كل الوضوح ، بسيط كل

البساطة . . لحسن الحظ ، يا إلهي ! وإلا فكيف كان يمكن أن يكون مصيري ؟

مدام ليموان : إننا ندين له جميعاً بدين كبير . . هذا شيء مؤكد .

إدميه : أوه . . ولكنني لا أتحدث مطلقاً عن الاعتراف بالجميل . . فليس من شأننا أن نشكر شخصاً لأنه على ما هو عليه (في لهجة عميقة) إذن فأنت واثقة أن تلك الأزمة حدثت قبل عام ١٩٢٨ ؟

مدام ليموان : وبعد هذه الفترة حدث عكس ذلك ، وكأنما ساد الهدوء ، وكأنه صار يرى نوراً لم يكن قد رآه من قبل .

إدميه : نوراً ؟

مدام ليموان : نعم . . ذلك النور الذي لا يظهر إلا عندما يسود الظلام تماماً . (فترة صمت) لماذا تضحكين ؟

إدميه : (في صوت خافت) آه . . . يالها من وعود !

مدام ليموان : أية وعود ؟

إدميه : لقد وعدني بألا تعرفي شيئاً على الإطلاق . .

مدام ليموان : ولكن يا إدميه . . في النهاية . .

إدميــه : أوه . . لم تعد هناك جدوى في محاولة خداعي . . إن هذا السر . . سرنا ، لقد . . . أفشاه ! ! هذا التعس.

مدام ليموان : هو . . تعس ! أتجرئين على إهانته !

المنظر الثامن

الأشخاص أنفسهم ــ كلود (ممسكا بخطاب فى يده)

كلــود : انتهيت من خطابى . . فإذا خرجت كان فى وسعك إيداعه صندوق البريد . .

إدميــه : اليوم يوم الأحد ، وأعتقد أنه لن يصدر اليوم . . هذا إلى أن الأمر لا يتوقف على يوم . . وعلى كل حال تستطيع أن تعطينى إياه . . كم الساعة الآن ؟

(تكشف هذه الحركات المضطربة عن حيرتها الباطنة . .) .

كلــود : ولكن ماذا ألم بك يا إدميه ؟

إدميــه : لا شيء . . لاشيء على الإطلاق .

كلــود : أماه . .

إدميــه : هل سأجدك عندما أعود بعد قليل ؟

كلــود : يبدو أن فرانسيس سيأتى . . وسأنتظره .

إدميــه : نعم . . ولكن أنت . . أنت . . إنى لن أمكث طويلا . (في صوت أكثر خفوتا) أريد أن أجدك وحدك . . . أتفهم ؟ وسأرتب أمورى هناك . . فمن الممكن أن يحل محلى شخص آخر .

مدام ليمون : أما أنا ، فسأكون قد رحلت عند عودتك يا إدميه .

إدميــه : إلى اللقاء . يا أماه ! (تخرج)

المنظر التاسع

كلود ــ مدام ليموان

كلــود : ماذا حدث ؟

مدام ليموان : لقد ارتكبت هفوة طائشة يا طفلى المسكين . ولست أدرى كيف انسقت إلى ارتكاب هذه الهفوة (توشك على البكاء) والغريب في الأمر أنى لم أقع فيها قبل ذلك بزمن طويل . . لقد اكتشفت إدميه منذ لحظة أنك رويت لى كل شىء . (صمت)

كلــود : (في عزم) هذا أفضل . . اعلمى ياأمى أن هذه الكذبة التى كذبتها عليها ، كانت تجثم ثقيلــة على قلبى . . وكم من مرة أنبت نفسى على اقترافى إياها . . ولولا أنى كنت أشعر بنوع غامض من الخوف لا أدرى له سبباً ، لاعترفت لها منذ سنوات بأننى قد . . .

مدام ليموان : يا لها من كلمة . .

كلــود : لقد كنت قد تعهدت بألا أخبرك بشيء .

مدام ليموان : لأنها طلبت منك ذلك . . ولكن على أى حق لها في مثل هذا الطلب ؟

كلــود : لا يهم . . فقد وعدت.

مدام ليموان : تذكر ، على أية حال . . . أنها هددت بالرحيل . . بل لعلها كانت . . ما علينا ! إن الوعود التى نقطعها لشخص مريض ! !

كلــود : مهما يكن من أمر ، فإنه كان يجب علىّ منذ أن استردت إدميه صحتها ، ومنذ أن شفيتُها ، أن أفضى إليها بكل شيء .
ولا بد أنها عندئذ كانت ستفهم . . وأنت نفسك تقولين دائماً إنه ينبغى أن يشعر المرء بالثقة . . هذا إلى أنى عندما قطعت هذا الوعد على نفسى . . كنت على استعداد للوفاء به ، ثم حدث ذات يوم . . ولست أدرى لماذا . . . إنى لم أشعر بالوحدة كما اعتدت أن أشعر . . فكتبت إليك بكل شيء .

مدام ليموان : لا داعى للاعتذار .

كلــود : لقد عاملتها كما أعامل طفلة .

مدام ليموان : ثم أخيراً يا كلود . . منذ ذلك الوقت . .

كلـــود : هذه النظرية التى بدت بها عندما همت بالخروج.
أوه ! لقد عرفتها جيداً . . أمى ، إن كل ما ربحته
بعد مشقة كبيرة ، لعله قد فلت من يدى .

مدام ليموان : بسبب غلطتى أنا .

كلـــود : كلا . . إننى وحدى المذنب . . وسأطلب منها
الصفح فوراً .

مدام ليموان : إنك تذل نفسك إلى هذا الحد أمام تلك التى . . .
أما أنا . . . فاعلم تماماً أننى لا أستطيع الصفح عنها .

كلـــود : الصفح يا أماه . . لامعنى له إلا بينى وبينها . .

مدام ليموان : إنها ليست جديرة بشخص مثلك .

كلـــود : عندما أفكر فى كل ما حمله إلى هذا الصفح . .
هذا السلام الداخلى . . هذا الشعور بالقوة التى تريد
وتعمل معك . . لا بدلا منك . . منذ ذلك اليوم
أضاءت الدنيا أمام ناظرى . . أما قبل ذلك فقد
كنت أتخبط فى الظلام . . إنها المحنة يا أماه . . وقبل
هذه الأشهر الرهيبة كانت هذه الكلمة جوفاء عاطلة
من المعنى . . ولكن عندما يعانى المرء ما عانيته أنا . .

مدام ليموان : ولكنها لم تشعر بشىء من هذا .

كلـــود : إن أفضل ما فى هذه المحنة . . هو أنها لم تفهم

شيئاً . . فقد كنت وحدى تماماً . . أمام الله . وشيئاً فشيئاً عندما أحسست أنها استردت الثقة بنفسها . . ما أعجب الطريقة التى كانت تنظر بها إلى حين تعتقد أننى لا أنتبه إلى شىء . !

وبالذلك النداء الأبكم في عينيها ! لقد كنت كأنما أساعد شيئاً على الحياة . شيئاً هشاً . . . شيئاً كل ما فيه يضعف الأمل في بقائه . . وفي الأيام الأولى عند عودتى في المساء ، كنت أنتظر دائماً أن أفاجأ بأنها قد رحلت لتلحق به . وأنا على يقين من أنها قد فكرت زمناً طويلا في أن تفعل ذلك . . وهى تعتقد أنها كانت . . . تفكر في ذلك . . ولكن الواقع أن قوة ما كانت تفصل بينها وبينه . . وذات يوم أحسست فجأة وعن يقين أن كل شىء قد انتهى . . وأنها لم تعد تفكر في ذلك . . وأننا قد كسبنا المعركة . . لا داعى للبكاء . . يا أماه . . فما كان ينبغى أن أثير كل هذه الذكريات . .

مدام ليموان : . إنها ستؤذيك من جديد ، يا بنى . .

كلـــود : كان ذلك ممكناً فيما مضى . حينما لم نكن قد تعذبنا أما الآن فإننا لم نعد نستطيع . فقد حمل كل منـــا.

صليب الآخر . ؛ وكلانا قد نزفت دماؤه من أجل الآخر . . . فنحن . . . كأنما ازددنا ثـراء . . وأصبحنا أفضل . . نعم . . أفضل . . .

مدام ليموان : آه . . إنك تعبر عن هذا كله تعبيراً رائعاً . . (تجفف عينيها) .

كلـود : الجرس يدق دقتين . . لا بد أنه فرانسيس . . أرجو المعذرة . . فقد خرجت الخادمة، ولا بد من أن أفتح الباب بنفسى (يخرج) .

مدام ليموان : (تناجى نفسها وحدها) إنه طيب . . وكريم جداً . . (تهز رأسها هزة تعبر عن الأسى)

المنظر العاشر

الاشخاص انفسهم ـ فرانسيس

كلـود : كان يجب عليك يا عزيزى أن تتناول معنا طعام الغداء

فرانسيس : كان على أن أعود مريضاً في « جوى أن جوزا » ولم أعد . إلا في الساعة الثانية بعد الظهر .

مدام ليموان : ومتى تناولت غداءك ؟

فرانسيس : منذ نصف ساعة في « مشرب أتوماتيك » . (موجهاً

الحديث إلى كلود) أيسير كل شيء على ما يــرام ؟ لقد رأيت لتوى أحد أعضاء مجمع الأساقفة ، وقد حدثني عنك . . يخيل إلى أنهم يحلونك مكاناً رفيعــاً من تقديرهم . ويبدو أنك قد سحرت الأبرشـــية كلها ، وأن أعضاء كنيستك أصبحوا لا يقسمون إلا بك .

مدام ليموان : لماذا لا تأتى للاستماع إليه ؟

فرانسيس : ماذا تريدين ؟ إن هــذا لا يدخل في اختصاصي . (مخاطباً كلود) ألم تخطرك أمي بأن لدىّ ما أقولــه لك ؟

كلــود : بلى . . ولكنني لا أدرى شيئاً مطلقاً عن الموضوع .

فرانسيس : اسمعي يا أماه ! في وسعك ، بطبيعة الحال ، أن تظلى معنا ، كما قلت لك . . ولكنك تعلمين أنني مرغم على أن أعالج مع كلود حديثاً شائكاً إلى حدما ، ولا أريد أن أقلق بالك بلا جدوى . .

مدام ليموان : إذا لم يكن في وجــودي ما يزعجكما ، . . فإنني أفضل . .

فرانسيس : الأمر يتعلق . . بميشيل سانديه .

كلـــود : أه ! (تصدر حركة عن مدام ليموان)

فرانسيس : لقد حضر ميشيل ساندييه لاستشارتى منذ عهدقريب .

مدام ليموان : هذا غريب ! .

فرانسيس : ليس في هذا ما يدعو إلى الغرابة ، فهو يعلم عن طريق المجلات الطبية ، التى يبدو أنه يثابر على قراءتها ، أن أبحاثى تتعلق – على وجه الخصوص – بداء خطير ، هو مصاب به حالياً .

كلود : إذن، فالأمر يتعلق بداء . . .

فرانسيس : (بصوت خافت) نعم . . داءلاعلاج له في الظروف الحاضرة (بصوت مرتفع) ولكن . . . هناك سبب آخر دفعه إلى زيارتى . . أنا بالذات . .

مدام ليموان : أه !

فرانسيس : أمى . . إنك ترين جيداً أن كلود هادئ الأعصاب .

مدام ليموان : إن هدوء أعصابه يتجاوز كل حد . . . أما أنا فيكفينى أن أسمع اسم هذا التعس لكى . . .

فرانسيس : لم يبق أمام ميشيل ساندييه في الحيـــاة غـــير وقت قصير . . وهو يعلم أنه ضائع . . وينبغى أن أقول إنه يواجه موقفه في صفاء وهدوء ؛ أثارا بالغ دهشتى . .

مدام ليموان : من المحتمل أن يكون ذلك نوعاً من التصنع .

كلــود : أماه !

فرانسيس : لقد عاش منذ أعوام حياة لم أطلب منه أن يتمادى فيها ، ولكنها — بطبيعة الحال — غير مقطوعة الصلة بالحالةالتى هو عليها الآن .

كلــود : وبعـــد ؟

فرانسيس : ويبدو أنه قد انساق إلى تأمل حياته . . . إلى استرجاع بعض ذكريات ماضيه . . أو لعله على كل حال . .

كلــود : إن الأمر يتعلق بأسموند ؟

فرانسيس : نعم .

مدام ليموان : أخيراً . . ألا تريد أن تقول . . ؟

فرانسيس : لقد بدأ في حديثه معى بغاية الحذر . . . ولكننى كنت أدرك أنه سينتهى إلى ما انتهى إليه . . فقد قال لى ، عرضاً ، إنه قد تعرف عليك منذ زمن بعيد ، وإن الفرصة سنحت لــه للاستماع اليك في كنيسة من الكنائس. . . لست أدرى ايها . . .

كلــود : أتراه استفسر عن إدميه ؟

فرانسيس : لقد سألني في بساطة عما إذا كانت زوج أخي هي الأخرى ، على مايرام . وكان من الصعب عليه أن يمضي إلى أبعد من ذلك . أولا : لأنه لم يكن لديه من الأسباب مايحمله على الاعتقاد بأني أعرف الماضي بأية صورة من الصور . . فكنت أرى هذا البائس يناضل مع الأسئلة التي تضطرب في صدره ولايجد مخرجاً . . . وينبغي ألا يوجه إليّ اللوم . إذا كنت قد نصبت له الشرك .

مدام ليموان : ولكن ماهذا يافرانسيس ! . .

فرانسيس : قلت له في بساطة : ولكن هذا صحيح . . إذ يبدو أني التقيت بك ذات مرة في « سان لودي تالفاس » — عندما كان أخي قسيساً هناك — ولم أزد على ذلك شيئاً ، ولاشك أنه من أعجب الأشياء تلك القوة الكامنة في اسم من الأسماء . . فقد شحب لونه ، واستولى عليه الوجوم وغض من بصره هكذا ، ثم قال : نعم . . كان لي منزل في « سان لو » . وتظاهرت أنا بأني تذكرت فجأة وقلت : هذا هو . . أجل . . هذا صحيح . . لقد تذكرت الآن ذلك المنزل الكبير الذي يشرف على القرية أما زالت تملكـــه ؟ فأجاب

كـــلا .. لقـــد بعته . قلت : كان ذا موقـــع جميل وعاد إلى الصمت مرة أخرى . . وكنا واقفين . وبالطبع كان الكشف قد انتهى . . فخطوت خطوة صوب الباب ، ولكنه لم يتحرك . فسألته : ألديـــك شيء آخر تطلبه مني ؟ فقال : « أجل » وكأنه يهمس وتناول يدي ، ونظر إلى عيني في قلق وكأنه يريد أن يستشف ما أعام . . فلم أختلج . . ثم قال : أصحيح أنك لا تدري شيئاً عما أريده منك؟ فبماذا كان ينبغي أن أجيبه ؟ آه لو علمتما إلى أي حد لم أكن أريد أن أستمر وقتاً طويلاً في مزاولة لعبة الاستخفاء مع هذا المحتضر . . .

مدام ليموان : إني واثقة من أنه ليس مريضاً بتلك الصورة التي تريد أن توحي بها .

فرانسيس : إنه لن يعيش أكثر من بضعة أشهر . . وهو يعلم ذلك

كلـــود : ثم ؟

فرانسيس : حسن . لقد أخبرته بألا حاجة له في أن ينبئني بشيء . . أوه . . إن كلود سيفعل ما يبدو له صواباً . . إنه حر تماماً . . وأعتقد أنني لم أكن أستطيع أن أتصرف على خلاف مافعلت . .

كلــود : (مخاطباً فرانسيس) : لقد كنت على صواب . .

مدام ليموان : كان من المفروض أنك لا تعلم شيئاً . . هذه خيانة ضدى .

كلــود : يا له من نفاق !

فرانسيس : أختم كلامى قائلا : إنه يطلب رؤية ابنته قبل موته .

مدام ليموان : وأى حق لديه قِبَل هذه الفتاة ؟

فرانسيس : هذه مسألة أخرى .

مدام ليموان : بل هذه هى المسألة . . وفضلا عن ذلك ليس لك حق في أن تأخذ هذه الرسالة على عاتقك .

كلــود : أمي . . إنك كثيراً ما ترددين . . « إن لنا الحق . . . وليس لنا الحق . . . » .

مدام ليموان : (مخاطبة فرانسيس) إنك تعرف أخاك، وتعرف أنه طيب جداً ، وكريم جداً . . وكنت أقول له ذلك منذ لحظة .

فرانسيس : إنك في هذه اللحظة تحكمين مقدماً على قراره . .

مدام ليموان : أوه . . إننى أعرف ابنى كلود .

فرانسيس : ينبغى ألا نؤثر عليه .

مدام ليموان : ولن يمنعنى أحد من إبداء رأيى .

فرانسيس : هذا أمر لا معنى له .

مدام ليموان : رأيى القاطع . . .

فرانسيس : إن أحداً لا يستطيع أن يضع نفسه في مكانه . .

مدام ليموان : أمه تستطيع ذلك . أيريد أن يرى ابنته ؟ لا أظن أنه يزعم لنفسه الحق في أن نكشف لصغيرتنا العزيزة . .

كلـــود : إنه يستطيع أن يرى أسموند هنا باعتباره شخصاًعادياً جاء لزيارتنا .

مدام ليموان : ليس لك أن تسمح لهذا الشخص بالدخول في هـــذا المكان . . هذه فضيحة . . هذا عمل غير أخلاقي .
وأخيرا ، يا فرانسيس .

فرانسيس : أنا لم أقل شيئاً .

كلـــود : لقد عفوت يا أمى .

مدام ليموان : لعلك عفوت عنها . .

كلـــود : أجل . . عنها . . بكل تأكيد .

مدام ليموان : ولكنك لم تعف عنه .

كلـــود : هذا معناه أن الحياة لم ترغمنى بعد على أن أطلب لـــه هذا الصفح من نفسى .

مدام ليموان : لو لم تسنح له الفرصة لأن يكون مريضاً . . . .

فرانسيس : لك الله يا أماه !

مدام ليموان : وهل تعتقد أنه سيقنع في تلك الزيارة بروية أسموند؟ يعلم الله أى ادعاء سيدعيه عقب ذلك .

كلــود : إنها محنة تعرض لى ، ويجب على أن أحياها يوماً إثر يوم .

فرانسيس : إلى هنا ولن أتبعك . . يا عزيزى فمهما يكن من شيء ، لا يصح للمرء أن يستسلم للدوامة . . بل يجب أن أن تحتفظ بحريتك في التصرف كاملة . .

كلــود : أنصت إلى . .إننى لا أحتمل الاستمرار في مناقشة هذا الموضوع دون علم « إدميه » .

فرانسيس : ومع ذلك فمن الطيش أشد الطيش أن تطلعها على جلية الأمر . . أه . .فكر قليلا . . ياصغيرى . . إنك تجازف بأن تقلب كيانها بضورة خطيرة . . إنها حالة أعتقد أنك تستطيع وحدك أن تتخذ فيهـــا قرارك .

كلــود : لست من هذا الرأى .

فرانسيس : إفهمني جيداً . . إننى لا أخشى لحظة من أن وجودها في حضرة هذا البائس قد يشعرها بظل مما لا أدرى . .

كلـود : فرانسيس !

فرانسيس : ولكن . . بشيءٌ من الاشمئزاز . . ونوع من الرعب . ثم فكر في الأصداء الممكنة لمثل هذه الصدمة على جسم رقيق . . أرجو معذرتك . ياعزيزى ، ولكنك تعلم تماماً أن طبيعة زوجتك ليست من الطبائع التى يمكن أن نسميها متزنة . . .

وأنت تريد ، بطيبة قلبك أن تعرضها لمثل هذه المجازفة ؟ فالمسألة لا تنحصر فقط في أن تراه ثانية . . بل في مجرد أن نعيد على مسامعها ما قلته لك . . . وأنا أجد ذلك . . .

كلـود : (متألماً) إن أسموند ابنتهما . . ثم . .

كلا . . إننى لا أسمح لنفسى بأن أتحمل عنها هذه المسئولية . .

فرانسيس : بل اسمح . . بل اسمح . . وسيأتى ميشيل متعللا بأية علة ليراك يوماً تكون زوجتك قد خرجت فيه . .

مدام ليموان : سأنصرف . .

فرانسيس : أماه . . ما هذا ! . . وتكون أسموند في المنزل ذلك اليوم . .

كلـــود : وهل يتحتم على أسموند أن تخفى هذه الزيارة عن أمها ؟

فرانسيس : هنا ... إشكال بسيط ، أوافقك على ذلك .. ولا بد من البحث عن مخرج ..

كلـــود : لن أبحث عن هذا المخرج .

فرانسيس : نعم .. حسن .. إننى لن ..

كلـــود : بدلا من الكذب على إدميه مرة أخرى .. أرانى أوثر الرفض القاطع ..

فرانسيس : في هذه الحالة . من الأفضل أن ترفض .. فالواقع أن هذا البائس المسكين ..

كلـــود : إن الأمر يتعلق بعلاقتنا كلها التى أصبحت في الميزان . فإذا نجحت في أن أخلق بيننا جواً من الثقة ، من الألفة .. فأنتم ...

فرانسيس : إنك تخاطر بأن تضع هذا كله موضع الشك مرة أخرى .

كلـــود : وكيف ذلك ؟

فرانسيس : لست أدرى شيئاً .. ولكننى أشعر بذلك .

مدام ليموان : وأخيراً .. أهو قد اهتم بأسموند طوال تلك السنين ؟

فرانسيس : ماذا تريدين ؟ لقد كان عنده ما يعوضه عن ذلك . . . أما الآن فالمسألة أقل غرابة . . ثم يجب أن ننظر إلى هذا كله على أنه فكرة متسلطة على مريض . .

كلـــود : (مخاطبا فرانسيس) لقـــد جرحتنى منـــذ لحظة عندما تحدثت عن إدميه بهذا الأسلوب . ويبدو لى مع ذلك أنها قد أثبتت قيمتها . . انظر إلى حياتها . . أمن الممكن للمرء أن يؤدى واجباته على وجه أكمل مما تفعل هى ؟ . . أم من الممكن أن يحيا الإنسان حياة أملأ أو أنفع من حياتها ؟ ؟

فرانسيس : وربما كان هذا بالذات هو ما يخيفنى .

كلـــود : كيـــف ؟

فرانسيس : إنها هذه الحياة المثالية . . أجل . . هذه الصرامة وهذه الاستقامة هى التى تقلقنى . إن هذا كله . . ، على ما أتوهم ، ليس إلا نوعاً من النوم . . ويخيل إلى أحياناً أن زوجتك تنام حياتها (لاينتبهان إلى أن إدميه قد دخلت ، ثم يكتشفان بغتة أنها موجودة) هيه . طاب يومك يا إدميه (صمت)

المنظر الحادى عشر

الاشخاص انفسهم ــ ادميه

مدام ليموان : (في تسرع مصطنع) ماذا عن اتحاد الفتيات ؟ أراك قد عدت في ساعة مبكرة يا إدميه . .

إدميه : لم يكن أحد في حاجة إلى . . .

مدام ليموان : من المؤسف أن تكونى قد ضيعت وقتك عبثاً . . . ولكن من حسن الحظ أن أوتوبيس رقم ٢٨ مريح جداً (صمت) أتمطر السماء في هذه اللحظة ؟

إدميــه : لست أدرى . . ربما سقطت بضع قطرات ولكنى لم أنتبه لذلك . . كان يبدو عليكم الانفعال حين دخلت . .

مدام ليموان : ولكن هذا معناه . . .

كلـود : سأقص عليك .

مدام ليموان : أجل . . أجل . . سيقص عليك .

إدميــه : (مخاطبة فرانسيس) ربما أرسلت إليك يوما ما طفلة صغيرة تبدو عليها أعراض مرض السل .

فرانسيس : (ناهضاً) أنا في خدمتك . . ألا تأتين يا أماه ؟

إدميـه : أتغادرنا بهذه السرعة ؟

مدام ليموان : متى سنلتقى ؟

فرانسيس : تعالوا للعشاء عندى يوماً ما . .

مدام ليموان : ولكن ألا تخشى أن تكون أوجينى . . ؟ إنها لاتبدو الآن على ما يرام . . . وحضور ثلاثة من الضيوف .

(يتلاشى الصوت . . يرافقهما كلود وإدميه ثم لايلبثان أن يعودا) .

المنظر الثاني عشر

كلود ــ ادميه

كلـود : يسرنى أنك عدت مبكرة . .

إدميـه : اصغ إلىّ لحظة يا كلود .

كلـود : (شاخصاً اليها) ــ أجل . . إنى أعلم .

إدميـه : فيما يخص والدتك ؟

كلـود : نعـم . . .

إدميـــه : لقد حيرنى ذلك كثيراً . . كلا . .دعنى أفرغ من كلامى ، ياحبيبى . (تتناول راحتيه) ثم إنى قد فكرت جيداً . . . لقد كنت مخطئة في ذلك الحين حين طلبت منك هذا الوعد . . فقد كان مجرد التفكير في أن يعرف أحد شيئاً يبدو لى مخيفا بصورة مزعجة .

كلـــود : أجل . . أجل .

إدميـــه : وخاصة . . أمك . إنها تقسو في حكمهاعليك ، برغم ما يبدو عليها من مظهر التسامح .

كلـــود : إدميه !

إدميـــه : لا يهم . . ولا داعى لأن نطرق هـــذا الموضوع مرة أخرى . . هذا كل ما في الأمر . .

كلـــود : حبيبتى . . هذا كرم عظيم من جانبك . .وأخشى أن تكونى . .

إدميـــه : لا تتحدث عن الكرم . . أليس كذلك . .؟ من الواضح أنك لاتدين لى بشيء . .ومن الجنون أن أعتقد عكس ذلك .

كلـــود : إننى عندما أخذت على نفسى ذلك العهد . . أؤكد لك . .

إدميـــه : أجل .. في تلك اللحظة .. ولكن لا داعى للجدال .. وأكرر لك أننى أفهم موقفك ، أو على أية حال ..

كلـــود : اتصفحين عنى ؟.

إدميـــه : لا تسحر منى يا كلود

كلـــود : لقد كنت أقول لأمى منذ لحظه . . .

إدميـــه : اكنتم تتحدثون عن ذلك أنتم الثلاثة حينما دخلت ؟ هيا ، إننى أفضل ألا تجيب على . . إذن لقد كان يعلم هو الآخر ، بطبيعة الحال . (صمت . ؛ تتقلص أصابعها) .

كلـــود : عندما تلومينى على أننى قد أسأت استغلال هذا النوع من التعالى المزعوم .

إدميـــه : أنا لا ألومك على شيء . . إن جوهر . أى موقف من المواقف يبقى على ما هو عليه (تضغط على الكلمة) لقد « صفحت » عنى رغم كل شيء . .

كلـــود : ياحبيبتى . إنك تعلمين معنى هذه الكلمة في نظرى .. وقد شرحت لك . . .

إدميـــه : نعم . .لقد شرحت الى أشياء كثيرة . .

كلـــود : يالتأنيب الضمير الذى تشعرينى به ! فبغير هذه الكذبة .

إدميـه : هناك سؤال واحد أريد أن أوجهه إليك . . إن أمك قد أشارت أمامي منذ لحظة إلى أزمة ضمير اجتزتها في فترة معينة . . ولا أريد أن أعلم ذلك لأعاتبك على أنك لم تضع ثقتك في . . وإنما أريد أن أعرف التاريخ فحسب .

كلـود : كيف ؟

إدميـه : في أية فترة عانيت تلك الأزمة ؟

كلـود : هذا شيء لا يمكن تأريخه كما نؤرخ مرضاً جسمياً .

إدميـه : لماذا يبدو عليك الارتباك ؟

كلـود : كلا على الإطلاق . . لابد أن يكون ذلك في سنة ١٩٢٧ .

إدميـه : أى في فترة لم يكن قد راودك فيها أى شك بعد ؟

كلـود : نعم .

إدميـه : وتبددت هواجسك عقب ذلك مباشرة ؟

كلـود : ولكن . . تفهمين جيداً أن ذلك لم يكن أمر يوم أو شهر . . . لقد كان أشبه بتحول بطيء لذاتى . . بنوع من التفتح .

إدميـه : ألم ينفعك وجودى بشيء ؟

كلـود : كيف ؟

إدميـه : أنا . . وما فعلته ضدك ؟ . . خيانتى لك ؟ هل هى

مجرد مصادفة أن تكون بعد أن اكتشفت الحقيقة ، قد استبعدت إيمانك بالله ؟

كلـــود : يستحيل على أن أجيبك . . مجرد مصادفة . . كلا . . إنها ليست مصادفة بكل تأكيد . .

إدميــه : هذا كل ما أردت أن أعرفه .

كلـــود : إننى لا أعتقد بوجود المصادفة في هذا المجـــال (إدميــه لا تجيب ، وتذهب للبحث عن شغل للإبرة وتنهمك في العمل فيه) . . كم كنت أود لو كان في مقدورى أن أشرح ما كان يدور في نفسى حينذاك .

إدميــه : ربما كان ذلك أمراً عسيراً جداً . .

كلـــود : في الأيام الأولى من زواجنا . .

إدميــه : (ترفع . رأسها وتنظر نحوه) ــ تريد أن تعود إلى هذا الموضوع ؟

كلـــود : كنت أشعر كأننى لن أصل إليك مطلقاً . وكنت أحس دائماً أنى على الهامش .. . إنك لا تصغين إلى .

إدميــه : ولكننى ... أصغى إليك . .. نعم . .

كلـــود : كان انعدام هذا الاتصال بيننا قاسياً أشد القسوة . .
وكان يبدو لى أنه تنقصنى الموهبة الجوهرية .
وتذكرين إلى جانب هذا خيبة آمالى في «سان لو»
مع طلابى، وقصة الصغيرة . «جنفرييه Génévrie»

إدميـــه : (منحنية دائما على عملها) — إننى لا ألمح الصلة
بين هذا وذاك . .

كلـــود : ولكن الأشياء جميعاً مترابطة . هذه الشكوك التى
تتحدثين عنها ، كانت في قرارة أمرها منصبة على
مواهبي ، على استعدادى إذا شئت .

إدميـــه : نعم . . وكنت أنا أحد أسباب فشلك .

كلـــود : تعلمين إلى أى حد أنا قليل الثقة بنفسى . .

إدميـــه : كلا . . لا أعلم . .

كلـــود : وهكذا حينما لايؤمن المرء بنفسه تبدو له الأرض
وكأنها تميد تحت أقدامه . . فلا يبقى شيء . .
طبعاً ، لم أكن أشعر بذلك طول الوقت . . وإنما
كان ذلك أشبه بنوبات من القنوط يزداد ترددها
علىَّ بالتدريج ، وكانت كل نوبة منها تتركنى
متهالكا . . ضعيفاً ، خائفاً من ضعفى . . أتفهمين
ذلك ؟

إدميـــه : فهماً غامضاً .

كلـــود : وعندئذ حدثت تلك . . (يشير بيديه) .

إدميـــه : . . . تلك المحنة .

كلـــود : وفي هذه المرة كان الفراغ المطلق حقاً . . كنت وحدى تماماً . . فقدت زوجتى وطفلى في وقت واحد . . وخيل إلى أننى لن أستطيع المقاومة . . هذا حق . . وأنت تعلمين ذلك . . ثم أخذ النور يظهر رويداً رويداً . . .

إدميـــه : بطبيعة الحال !

كلـــود : ماذا ؟ .

إدميـــه : كل ما أذكره إنه ليست هناك طريقتان للحديث عن هذه الأمور .

كلـــود : إن ما حدث عندئذ كان له معنى . . كان أشبه بنداء نفذ إلى أعماق نفسى . وكان ينبغى على أن أفهمه .

إدميـــه : لقد كان الله هو الذى يكلمك .

كلـــود : لقد وضعت لأول مرة وجها لوجه أما نفسى . . وكنت على وشك أن أكتشف بمن يتعلق أمرى . .

وربما كان ذلك الشعور بضعفى اللانهائى هو الذى أنقذنى .

إدميه : الموضوع كله . هو أنك كنت أنت وحدك المهم . . هذا مفهوم . .

كلود : لقد صليت بحماس لم أعرفه من قبل . .

إدميه : من أجل من كنت تصلى ؟

كلود : من أجلنا نحن الاثنين . . لكى يمنحنى الله القوة على أن أكون منقذاً . . وشيئاً فشيئاً أحسست كأن عذابى يتحول إلى قوة حية فعالة . .

إدميه : نعم . . بالاختصار . .

كلود : ماذا ؟

إدميه : لا شىء . . إننى أرى هذا كله رائعاً .

(صمت) . .

المنظر الثالث عشر

الأشخاص أنفسهم ـ اسموند

كلود : هل قمت بنزهة طيبة ؟

إدميه : من الذى فتح لك الباب ؟

أسموند : لقد عادت فيليسى . . والسماء تمطر . . وكانت الفتاتان متعبتين . . واكتفينا بهذه النزهة .

إدميه : وماذا ستفعلين الآن ؟ . .

أسموند : جئت أبحث عن كتاب لأطالع لهما فيه قليلا .

إدميه : لا تنسى موعد مدموازيل « نجانى » في الساعة الخامسة ، يا أسموند .

أسموند : (بعصبية) ماذا هناك يا أماه ؟

إدميه : ألا تعتقدين أنه من الممكن الإيحاء إلى هذا السيد باستخدام مربية ؟

أسموند : وأخيراً ، يا أمى . . .

إدميه : إنك تظهرين في هذه الناحية تساهلا ليس من طبعك.

أسموند : أمى . . إننى أرتضيك حكماً . .

إدميه : هاتان الطفلتان لا تتميزان بأى ميزة ، وقد قلت ذلك أنت نفسك . .

أسموند : إنهما لطيفتان جداً .

إدميه : لقد قررت أن أكتب إلى السيد « ميجال » بأن مشاغلك لا تسمح لك بتكريس وقتك لطفلتيه . .

أسمونـد : سيكون ذلك كذباً .
إدميــه : بل سيكون الصدق عينه .
أسموند : انى . . أريد ان تسمعنى هذا المساء خمس دقائق . . خمس دقائق فحسب . . أليس كذلك ؟ (تخرج) .

المنظر الرابع عشر

كلود ـ ادميه

كلـــود : لست في حالتى الطبيعية على الإطلاق .
إدميــه : ومع ذلك ينبغى أن يرى المرء في وضوح (صمت) .
كلـــود : (في صوت متردد) عندى شيء آخر أريد أن أقوله لك يتعلق بما جاء فرنسيس لكى ينبئنى به منذ لحظة
إدميــه : حســن
كلـــود : (وكأنما يخاطب نفسه) يا إلهى ! ربما كان هو على حق . . ولكننى لا أستطيع .
إدميــه : إنه أمر خطير إذن ؟
كلـــود : إنه أمر يبعث على القلــق .
إدميــه : (تقترب منه في حنان) ما هو ؟
كلـــود : أه . إننى في حاجة إلى حنانك .
إدميــه : (في مرارة) . . لو كنت على ثقة من ذلك . .
كلـــود : حسن.. لقد ذهب لاستشارة فرانسيس.. إنه مريض جداً

إدميـــه : عمن تتحدث ؟ (يتفرس كلود في وجهها) أه . .

كلـــود : ويقول فرانسيس إن حالته خطرة إلى أبعد حد، حتى لا يكاد المرء يتعرف عليه ، وهو يطلب رؤية الفتاة مرة واحدة .

إدميـــه : يجب الرفض .

كلـــود : لست أدرى .

إدميـــه : (في إصرار) يجب أن ترفض .

كلـــود : ولماذا لا بد من الرفض ؟

إدميـــه : لا أستطيع أن أشرح لك ، ولكننى واثقة مما أقول . . الحقيقة أن ذلك ممكناً . وأنت تشعر بذلك جيداً .

كلـــود : أصغ إلى يا حبيبتى . . ليس من حقى أن أخفى عنك الحقيقة . إن فرانسيس يقول إن أيامه معدودة . . افهميني جيداً . ربما كنت على صواب لست أدرى. ولكن . . هل أنت متأكدة . . من أن ذلك لايكون نوعا من الجبن ؟ (إدميه ترتجف) إنك لن تريـــه . سيأتى في زيارة ذات يوم تكونين قد خرجت فيه من المنزل .

إدميــه : لقد رتبت كل شئ في رأسك . . ولكن . . ولكن هذا مخيف . . من تكون إذن ؟ إنك لست إنساناً .

كلــود : إنه شخص يحتضر .

إدميــه : إذن ، لقد امّحى الماضى بالنسبة لك وأصبح كأن لم يكن . . أما أنه كان يحتضنى بين ذراعيه . . ويضمنى إلى صدره . .

كلــود : اسكتى :

إدميــه : أوه . . إنك تستطيع أن تستمع إلى كل شىء . . ليس البرود هو الذى ينقصك حينما يتعلق الأمر بى . .

كلــود : ولكن هذا فظيع يا إدميه . . هذا الذى تقولينه . .

إدميــه : إن عظمة النفس الرخيصة هذه . . تفزعنى . .

كلــود : الرخيصة ! ولكننى عندما غفرت لك . .

إدميــه : إن لم تكن قد غفرت لى لأنك تحبنى ،فماذا تريدنى أن أفعل بهذا الغفران ؟

(تجهش بالبكاء) . .

الفصل الثانى

(مساء ذلك اليوم نفسه . حجرة مكتب كلود . وهى حجرة مستطيلة ضيقة ذات رفوف عالية للكتب مليئة بالمجلدات الضخمة . . فى الوسط مائدة مغطاة بالأوراق . . وقد وضع عليها « مصباح بترول » . الساعة الثامنة . كلود جالس يقرأ . . دقات على الباب) . . .

المنظر الاول

كلود ـ اسموند

كلـــود : من هناك ؟

أسموند : (وراء الكواليس) ـ إنه أنا . . يا أبى .

كلـــود : ادخلى . . ياصغيرتى (أسموند تدخل من الجهـــة اليسرى للمسرح) حسن . ما هذا ؟ ماذا هناك ؟ ألا تعتقدين أولا أنه مما قد يجرح أمك أن تطلبى الحديث معى على انفراد ؟ (حركة من أسموند) لو أننى طلبت إليها الحضور أيضاً ، فماذا تقولين ؟

أسموند : في هذه الحالة سأنسحب أنا .

كلـــود : أسمونـــد !

أسموند : لقد جئت إليك بخصوص أمي بالذات . . أمي وأنا . . وحينئذ، فلعلك قد فهمت، يا أبي. إنني لست سعيدة

كلـــود : عزيزتي

أسموند : أوه . . إنني لست سعيدة على الإطلاق . لقد قلت ذات يوم في إحدى الصلوات ، إن السعادة تكمن في أعماق نفوسنا . .

كلـــود : أنت تعلمين جيداً أن هذا حق .

أسموند : أما بالنسبة إلى أنا ، فليس ذلك حقاً على كل حال . . يبدو أن نفسي لاتنطوي إلا على كل ما يجعلني أتعذب. وإذا كان فيها شيء آخر ، فلابد أن يكون مختفياً إلى درجة . . أوه ! .إن أمي تعلم جيداً أنني لست سعيدة ، وأعتقد أنها لاتحبني .

كلـــود : ولكن ماهذا الذي تقولين . .؟ أهناك سبب خاص ؟

أسموند : بل الأحرى أن الأسباب كلها تحمل على ذلك . أرجو عفوك . . فأنا أولمك في هذه اللحظة .

كلـــود : عزيزتي . . يجب أن تصارحيني بكل شيء . . ولماذا

لم تتحدثى الىّ منذ زمن بعيد ؟ ألا تعتقدين أن ذلك أمر فظيع بالنسبة لى ؟

أسموند : أرجو المعذرة .

كلـــود : ثم إنه يجب على أن أرى بوضوح مايدور في أعماق نفسك . . فإذا كان المرء لايستطيع أن ينفذ إلى أقرب القلوب إليه . .

أسموند : لابد أن يكون راجعاً بالذات إلى أني قريبة منك أكثر من اللازم . إنك تسألنى لماذا لم أتحدث إليك من قبل . . ومن الصعب على أن أجيبك . .

كلـــود : (في مرارة) من المحتمل أنك لاتثقين بي .

أسموند : أوه ! يا أبي أنا لا أثق إلا بك

كلـــود : وأمك يا أسموند ؟

أسموند : أمي إنسانة لاتسعفك بالمرة . . . تحكم على كل أقوالنا وأفعالنا بطريقة تشل حركتى ، ولكن إلى حد ما . . . وأنت مشغول جداً . . ولديك هموم كثيرة ، هذه آلام تريد أن ترفعها عن كاهل الناس . . وتبدو دائماً كما لو كان أحد قد اغتصبك من غيره . ثم من الواضح أنه إلى جانب كل هذا الذى تراه . .

كلـــود : لقد قلت لى ان جميع الأسباب تتضافر على إتعاسك . .

أسموند : أريد أن أقول إننى عندما أنظر أمامى لاأرى شيئاً . . إن الحياة لا تجتذبنى .

كلــود : كيف ؟

أسموند : نعم . . الحياة بالنسبة إليك عبارة عن هبة مــن الله. أليس كذلك ؟ هى شىء عظيم ، رائع . . الحيــاة ! إنك عندما تنطق هذه الكلمة ، يتهدج صوتك . .أما أنا فعلى العكس من ذلك تبدو لى شيئاً يبعث عـــلى السخرية ، شيئاً تافهاً . إن حياتى . .

كلــود : ومع ذلك ، فأمامك . . (يبدى حركة) .

أسموند : الزواج . . . الأطفال . . أهذا ما تريد أن تقوله ؟

كلــود : أجل . (صمت) .

أسموند : انظر حولنا . . هنرييت بلانجيه ، جان شيلد . . لقد تزوجتا ، وانجبت كلتاهما أطفالا . . إننى لا أجد فى مثل هذه الحياة ما يبعث على الغبطة . . بل ليس فيها ما يشوق بالمرة .

كلــود : ألا تظنين أن هذا الحكم سطحى إلى حد بعيد ؟

أسموند : كلتاهما تعيش وجوداً شاقاً . . ضيق الأفق .

كلــود : إذن . . فهذا كل ما فى الأمر ؟

أسموند : (بعصبية) ولكن دعنى أشرح لك . . فلنفرض أنهما سعيدتان . . فهذا معناه أن لكل منهما زوجاً لا يخونها . .

كلـــود : عزيزتى !

أسموند : وأطفال يكبرون دون صعوبة كبـــيرة ، اللهـــم إلا مرضان أو ثلاثة أمراض تنتابهم في المتوسط كل عام . كلا . . . هذا لا يعنى شيئاً بالنسبة لى . . إننى لا أرى إلى أين تنتهى أمثال هذا الوجـــود . . وإذا فصّلت حياتى على هذا النموذج نفسه .

كلـــود : ولكن . . لا وجود لنموذج . . فلكل حياة من هذه الحيوات جمالها الخفى .

أسموند : الخفى ، نعم ، تستطيع أن تقول ذلك !

كلـــود : وأصالتها الجوهرية هى أنه ينبغى على المرء أن يحياها لكى يقدرها . .

أسموند : شكراً ! فحياتى تكفينى . . وعلى أية حـــال ، إذا كانت نسخا مما يُصْنع منه الآلاف ، بل الملايـــين كالصحف ، والمنشورات . . أجل ، إنها هكذا ، مجرد منشورات . .

كلـــود : ألا يوجد شيء من الغرور الكامن وراء هذا كله ؟

أسموند : إنك تعلم .. إنه بدون الغرور ...

كلـــود : أن يتلاءم الإنسان مع قوانين الحياة ، وأن يجعلها قوانينه الخاصة ، وأن يريدها بدوره ..

أسموند : هذه مجرد كلمة .. فسواء أردنا أو لم نرد ..

كلـــود : إنها ليست كلمة ياعزيزتى ، إنها حقيقة كبرى أن نأخذ لكى نعطى .

أسموند : ماذا نأخذ ؟ وماذا نعطى ؟ ثم وعلى التحديد ، ما فائدة أن نأخذ لنعطى للاخرين ما يعطونه الآخرون بدورهم ؟ ما فائدة هذا كله ؟ هذا السباق المتصل في عالم من الضباب ؟

كلـــود : (يجرها نحوه) : مهما يكن من شيء فان هذا الاضطراب يدل على أنك في قرارة نفسك ...

أسموند : إنه إذا كانت المسألة تتعلق بشخص مثلى ، فينبغى له أن يجد سنداً في إيمان الآخرين ... وقد اعتمدت على إيمانك حتى هذه اللحظة..إيمانك أنت .. ولكن حينما يشتد القلق بالإنسان ، فإن مثل هذا الإيمان لايكفى . وفي هذه اللحظة ...

كلـــود : إذن فأنت لديك ما يحزنك ؟

أسمـــوند : إنه ليس حزنا .

كلـــود : قلـــق ؟

أسموند : بالأحرى .

كلـــود : (يخرج ساعته في حركة آلية) . . ألا تريدين أن تخبريـــنى ؟

أسموند : أنظرت في ساعتك ؟

كلـــود : أنت تعلمين جيداً أنى مضطر إلى الخروج بعد قليل .

أسموند : (في حسرة : إنك مرتبط بواجبات كثيرة يا أبي . . وأن يشعر المرء أنه مجرد رقم بين الفتاة الأم التى تقطن شارع « الوست » والمرأة المشلولة التى تسكن شارع « المينْ » . . إذا كنت تعتقد أن هذا يجعل من اليسير تبادل الخواطر . . ثم لعلك تتلقى من خواطر الناس جميعاً أكثر مما ينبغى . . إنها مهنتك تقريباً . . وهذا ما يجعل البرودة تتمشى في أوصالى بعض الشيء

كلـــود : ولكنك تعلمين ياعزيزتى ، أن الأمر هنا يختلف كل الاختلاف .

أسموند : نعم ، فأنا حالة تختلف عن سائر الحالات .

كلـــود : إنك تتحدثين كأمك .

أسموند : أوه . . أترى ذلك ؟

كلـــود : نعم ، هذا إلى أنها لما كانت في سنك . .

أسموند : حسن ، فليس هذا مما يسعدنى . .

ولكنى أعترف لك بأن فكرة الزواج من شخص مثلك . . شخص له روح مثل روحك . . هذه الفكرة تخيفني . . ولوأنني تزوجت شخصاًتافهاً، لكان هذا أسوأ . إن الحياة مروعة .

كلـــود : ولكن هذا القلق ، ياعزيزتى . .

أسموند : إننى أعلم كل ما ستقوله لى . . فقد سبق أن ألقيت موعظة عن هذا الموضوع في الشهر الماضى .

المنظر الثاني

الاشخاص أنفسهم ــ ادميه

إدميـــه : لقد دق الجرس يا أسموند ، وأنت تعلمين أن فيليسى قد خرجت .

أسموند : في هذه الساعة ؟ من يكون هذا ؟

(تخرج . صمت) .

إدميـــه : هل ستخرج هذا المساء ؟

كلـــود : نعم . . . ولكن الوقت لم يحن بعد . . إن فورتسماير لايعود إلى منزله إلا في الساعة العاشرة .

إدميـــه : إن فكرة استدعائك في مثل هذه الساعة . . .

كلـــود : إنه هو الآخر لايعطى نفســـه أى راحة .

إدميـــه : وفضلا عن ذلك . . فإن ما تقدمه هذه المناقشة من قلة الجدوى . . .

كلـــود : أيا ما كان فإن في هذا كله فكرة عظيمة .

إدميـــه : هذا الاندماج للكنائس . . إنها بالأحرى كلمات ضخمة . . مسألة اندماج الكنائس تلك . . على أية حال إنك في قرارة نفسك لاتؤمن بذلك أكثر مني .

كلـــود : إننا ، إذاً لن نؤمن بذلك ، فلن يتم شيء .

أسموند : (عائدة) إنها أوجيني تحمل رسالة من عمي فرانسيس إليك يا أبي .

إدميـــه : خـــذ .

كلـــود : أينتظر رداً ؟

أسموند : إن أوجيني لاتعلم شيئاً عن ذلك ، وهي غاضبـــة لتكليفها بعمل ما يوم الأحد . (كلود يفتح الخطاب ،

وتقرأ إدميه من فوق كتفه . . ثم تثب وثبة عنيفة)
ماذا حدث ياأمي ؟

إدميـــه : هذا محال .

كلـــود : أسموند . .قولي لأوجيني إنه لارد هناك ؟
(تخرج أسموند)

إدميـــه : إننا لا نستطيع أن نقدم على هذه المجازفة . . قل للبواب إنك خرجت أو إنني مريضة أو ما شئت . . ولكنه إذا أتى . . فلا يصح له أن يصعد إلى هنا . .

كلـــود : هذا محال ؟ أتريدني أن أكذب ؟

إدميـــه : إنك تكذب على زوجتك ، لا على البواب . . ثم مادمت ستخرج حقاً . . كلود . . إنه شخص مريض .

كلـــود : تماماً . .

إدميـــه : ثم إنك ترى جيداً أنه قد رجع مرة أخرى إلى أخيك . . إنها فكرة متسلطة عليه . . إنه مجنون . . . إني أعترض على دخوله هنا .

كلـــود : ياعزيزتي . . شيء من الهدوء . .

إدميـــه : فوق كل هـــذا ! . . كلود ، إننا نمشي على رؤوسنا

فلو تأتىّ لى أن أوافق أنا على استقبال هذا الرجل ؛
لكان من واجبك أن تعترض على ذلك (إلى أسموند
التى تعود في هذه اللحظة) دعينا لحظة ياصغيرتى .

أسموند : أكنتما تتحدثان عنى ؟

إدميــه : كلا ، إن الأمر لا يتعلق بك .

أسموند : أبى . . أتراك كنت تعيد على مسامعها ما قلته لك ؟

إدميــه : ما هذه الأسرار أيضاً ؟

كلــود : (مخاطبا أسموند) كان حديثنا يدور عن الخطاب الذى تلقيته منذ لحظة .

إدميــه : لست مضطراً إلى تبرير ذلك .

أسموند : يبدو عليكما الاضطراب .

كلــود : كلا . . قليلا . . نحن مرتبكان ، فأنا وأمك لسنا على وفاق تماماً . .

(تنظر إليهما أسموند في ارتياب ثم تخرج متباطئة)

إدميــه : أسمعتنى . . . إننى أعارض في دخول هذا الشخص هنا . .

كلــود : إننى أنتظر حتى تثوبى إلى الهدوء .

إدميــه : أنت ، كلما فكرت في أنى لم أرك غاضباً قط !
(تقع فريسة لرعدة عصبية)
أتعتقد أنى لا أتكهن بما يدور في رأسك هذه اللحظة . . إنك تحتقرنى ، لأننى مرتبكة . .

كلــود : (بصوت منخفض) عزيزتى . . لقد حملت صليبك معك . .

إدميــه : كلود . إنك زوجى . . ولست قسيساً .

كلــود : (بنفس اللهجة) إن ما حدث لنا قد أراده الله . . إن هذا لايمكن أن يكون مجرد حادث عرضى . . إدميه . . إن هذه المحنة . .

إدميــه : دائماً هذه الكلمة المروعة .

كلــود : يجب أن نحياها في إيمان المسيحيين .

إدميــه : إنك لا تستطيع أن تحياها كانسان .

كلــود : (بصوت خافت) ألا تريدين أن تصلى معى ؟

إدميــه : (بلهجة توسل) . . دعهم يقولون إنك لست هنا . . أسموند ! (تخرج ويبقى كلود وحيداً ، ويحاول أن يركز نفسه في تأمل صامت ، تتشابك يداه . صمت طويل . . تعود إدميه) لست أدرى

أين ذهبت . . . أنا نازلة . . (كلود لا يجيب) كلود ! ولكن لماذا ؟ . . أكل هذا من أجله ، أم من أجلنا ؟

كلـــود : إننا إذا تقهقرنا أمام هذا اللقاء . . فإن ذلك يثبت . . لست أدرى . . يثبت أن الماضى لم يمت ، وإننا لم نستطع الانتصار عليه . .وهذا جبن . . هذا عمل لايجدر بك . .فلنر . . مم تخافين ؟

إدميـــه : من كل شيء .

كلـــود : قال أحد الأشخاص : «إن الخوف، علامة الواجب .

إدميـــه : يا إلهى ! . . إنك تفكر . . . وتضرب الأمثال . الواجب ! ومادخل الواجب هنا ؟ آه . . اسمع . ألا تكون تلك مسرحية هزلية تلعبها على نفسك . . نوعاً من التمثيل !

كلـــود : مسرحية هزلية ؟

إدميـــه : دون أن تشعر .

كلـــود : هذا ما وصلت إليه حالنا .

(يسمع صوت أسموند خارج المسرح وهى تقول :

« ولكن تفضل بالدخول ياسيدى . . فوالدى موجود وسأخبره ») .

أسموند : (داخلة) أبي ، هناك سيد يريد أن يراك .

(يعلو الشحوب وجه كلود)

إدميـــه : (عيناها ثابتتان على كلود) وما اسم هذا السيد ؟.

أسموند : السيد ساندييه .

إدميـــه : أين كنتِ الآن ، من فضلك ؟

أسموند : كنت أحيي الطفلتين اللتين فوقنا تحية المساء .

إدميـــه : حسناً . . ثم . .

أسموند : وكان هذا السيد يصعد السلم حين نزولى . . وكنت قد أخذت المفتاح ، فدخل معى .

إدميـــه : إذن ياكاود ، أنستقبل هذا السيد ؟

(حركة غامضة من كلود)

أسموند : (مخاطبة كلود) ولكن ماذا بك ؟

إدميـــه : إن أباك ليس على ما يرام تماماً .

أسموند : (تتجه صوب كاو د ، ثم تقول في رقة)

« ماذا حدث » ؟

كلـــود : نوع من الدوار .

أسموند : سأقول لهذا السيد إنك لاتستطيع استقباله .

(صمت)

إدميـــه : (وكأنما نتحدث رغماً عنها) . . كلا . . فايدخل . . إنه شخص كنا نعرفه منذ أمد بعيد . أنا وأبوك . (تخرج أسموند ، ونسمعها تقول : سيدى . . تفضل بالدخول من هنا)

المنظر الثالث

الأشخاص انفسهم ــ ميشيل

(ميشيل سانديه رجل في الخامسة والأربعين أو في الخمسين من عمره ، طويل القامة ، ولكنه محنى الظهر قليلا ، . وجهه غائر من المرض بصورة شنيعة)

ميشيل : (منحنياً) سيدتى . . سيدى . . يؤسفنى أن أزوركم في مثل هذه الساعة .

كلـــود : لقد أخطرنى أخى بأننا قد نتشرف برؤيتك هذا المساء . . من تحصيل الحاصل ، بالطبع ، أن نقدم

لك ابنتنا ! أليس كذلك ؟ فقد تم التعارف بينكما من تلقاء نفسه .

ميشيل : (يلتفت ناحية أسموند) الواقع أن هذه الآنسة هى التى . . .

كلــود : أظننى فهمت أنك مار بباريس مجرد مرور . .

ميشيل : نعم . .ومن الممكن أن أرحل غداً .

إدميــه : (في جهد) وأنت هنا منذ . .

ميشيل : منذ أسبوع . . ولكننى لا أحتمل باريس إننى لا لا أتنفس فيها (صمت) . .

كلــود : لقد وجدت أنا نفسى كثيرا من العنــاء حتى تعودت عليها .

ميشيل : ومع ذلك فانك لم تأت من « الأردش » إلى هنا مباشرة ؟

كلــود : كلا . . فقد عينت أولا في أبرشيه في . الشمال في « اسكرشان » بالقرب من « ليل »

ميشيل : لا بد أنها كانت جحيما .

كلــود : أبداً . . فقد تركت تلك الأعوام في نفوسنا ذكريات جميلة . . أليس كذلك يا إدميه ؟

إدميــه : إن كل شيء يتوقف على . .

ميشيل : أظن أن السيد ليموان لا يعنى طبيعة الإقليم .

كلـــود : ومع ذلك فإن تلك المناظر الواسعة الحزينة لا تخلو من عظمة .

ميشيل : أما أنا فإنى عندما أمر عليها بالقطار ، أغلق النافذة . .

كلـــود : إن سكان تلك المنطقة أهل مودة .

ميشيل : آه ؟

كـــود : لقد شهدت أنا وزوجتى مناظر مؤثرة جداً . . وإن رواية « الناس المساكين »
لفكتور هيجو . .

ميشيل :إننا معارف قدماء ياآنسة أسمونـــد . .دون أن تعرفي . لقد رأيتك عندما كنت صغيرة جداً ، في الوقت الذى كنت أسكن فيه « بسان لودى تالفاس » منزلا كبيراً يشرف على الوادى ، وكنت أتردد كثيراً على والديك ، وهأنذا أتخيلك كما كنت في تلك اللحظة. . وقد مررتُ على «سان لو» مرة أخرى منذ شهور :

كلـــود : أظن أنه لم يحدث فيها تغيير كبير منذ كنا هناك .

ميشيل : لقد شيدوا مصنعاً صغيراً لقطع الأخشاب شوه

منظرها . وأعتقد أنه بعد عشر سنوات ، ابتداء من اليوم ، لن يبقى هناك منظر واحد سليم .

كلـــود : ومع ذلك فإن مصنع قطع الخشب . . .

ميشيل : إن المرء لا يرى سواه . .

أسموند : إذن فهى أشبه بمصنع الغاز في «فونفيل سان فنسان» فقد كانت لنا هناك فيللا صغيرة على الربوة المطلة على البحر ، وكان يمتد أمامنا منظر متسع ، ولكن كان في نهايته مصنع للغاز . . .

كلـــود : أما أنا فلم أنتبه مطلقاً إلى هذا المصنع . .

أسموند : أنت محفوظ يا أبي . . فإنك لا ترى إلا ما يعجبك .

ميشيل : انتظرى ! لحظة ! « فونفيل سان فنسان » . . . . . ولكنى مررت بها بالسيارة في العام الماضى . . إنها بين دييب ونوربيور ؟

سموند : بالضبط .

ميشيل : ولكن بدا لى أمرا فظيعا . . . . تلك المكعبات من الكسب المغبر . بين حفرتين للتحصين .
(أسموند تضحك) .

كلـــود : ولكنها كانت تعجبك ، يا أسموند .

إدميـــه : طبعاً .

أسموند : الحق أننا لا نستطيع أن نحكم على مكان ما إلا بمرور الزمن . . وحينما أفكر في فونفيل . أؤكد لك أنني لا أشعر بأى حماس . .

ميشيل : هـــذا صحيح ، الذكرى وحدها هى الصادقة ، إنها هى أنفسنا .

كلـــود : لقد ارتبطنا هناك بصلات لطيفة . . ثم هناك البحر .. البحر . . أنا مندهش تماما مما تقولين .

إدميـــه : إنك طيب القلب حقاً إذا كنت تأخذ هذه السخافات مأخذ الجد .

ميشيل : خذ الموسيقى مثلا . . إنها أشبه بذلك . فالأثر الفورى الذى تتركه يكاد يكون دائماً مضللا .

كلـــود : أما هنا . . فأعترض .

ميشيل : أتكون الآنسة أسموند . . . . ؟

أسموند : إننى أحب الموسيقى حباً شديداً . . غير أن فرصـــة الاستماع إليها لا تتاح لى إلا نادراً .

ميشيل : ألا تعزفين على إحدى الآلات ؟ إننى أذكر أن السيدة والدتك . . .

إدميـه : لقد هجرت كل ذلك منذ عشرين عاماً .

ميشيل : لقد كان عندكم على ما أذكر بيانو ممتاز من صنع محل إيرار .

إدميـه : لقد تبرعنا به .

ميشيل : إن البيانو في مثل هذه الحياة المليئة المستغرقة التي تحيونها يعد من المغريات .

إدميـه : حتى لو كنا قد احتفظنا به ، لما وجدنا له محلا في اسكيرشان .

ميشيل : خسارة ! . (صمت) حينما مررت « بسان لودى تلقاس » التقطت صورة أو صورتين (مخاطباً أسموند) ربما أمتعك شيء من هذا القبيل يا آنسة ، فلا بد أنك سمعت الناس يتحدثون كثيراً عن هذا الركن الصغير .

(يناول أسموند صورتين أو ثلاثا)

أسموند : (تنظر إلى الصور) إنها ممتازة ، هذه الصور .

ميشيل : الآلة التي التقطناها بها صغيرة لا بأس بها .

أسموند : انظر يا أبي ! (كلود ينظر من فوق كتفها) .

يا له من ضوء شفاف . وأشجار الصنوبر تلك التى تصعد إلى السماء .

ميشيل : أتحبين أشجار الصنوبر ؟

أسموند : وأى حب ! أتذكر يا أبى بالقرب من بحيرة «شيبرتا» .. سيقانها ورائحتها ثم .. كما تعرف .. تمايـــل أغصانها حينما يتحرك النسيم ..

ميشيل : (بصوت متغير) أنا أيضاً أحب هذا كله .

كلــود : (فجأة) .. يا إلهى ! موعدى !

إدميــه : لا تذهب إليه .

كلــود : سيعود فور سماير خصيصاً ليرانى .

إدميــه : ولكنك لا تعلم من حقيقة أمره شيئاً .

كلــود : وفي المرة السابقة أخلفت موعده أيضاً .

إدميــه : لم يكن ذلك خطأك .

كلــود : كلا .. محال . (في شيء من الحرج ، مخاطباً ميشيل) إذا كان لديك شيء خاص تريد أن تفضى به إلى ، فهل يمكن أن ننزل سوياً ؟ (ميشيل لا يجيب) . نعم ذلك المكان لا يبعد عن هنا سوى بضع خطوات .. ولن يكون لدينا الوقت الكافي . إنى محزون ، فلــو

أنني أخبرت في وقت مبكر .

(يحس الجميع بارتباكه)

ميشيل : (واقفاً) ربما استطعنا أن نحدد موعداً آخر ..

كلــود : ولكنك سترحل غداً ؟

ميشيل : لم أقرر ذلك بعد .

كلــود : إذن . . . تستطيع أن تنفق على ذلك مع زوجتى . . إلى اللقاء . . وأرجو المعذرة إذا تركتك على هــذه الصورة . .

المنظر الرابع

ميشيل ـ ادميه ـ اسموند

ميشيل : أرى أن السيد ليموان مشغول إلى أقصى حد .

أسموند : إن لأنى ضميراً مرهفاً إلى أقصى حد . . (تمد يدها إلى ميشيل) طاب مساؤك يا سيدى .

ميشيل : إلى اللقاء يا آنستى . . إننى سعيد جداً بتجديدتعارفنا (تخرج أسموند . . يتابعها ميشيل بنظراته . . فترة سكون)

إدميــه : (في صوت منخفض) لماذا فعلت ذلك ؟ (حركة

غامضة من ميشيل) لو كان الأمر بيدى وحدى ، لما استقبلناك .

ميشيل : آه !

إدميه : والآن . . أتوسل إليك أن ترحل .

ميشيل : لماذا ؟

إدميه : أولا بسبب الفتاة . . ثم . . إننى لا أستطيع أن أراك.

ميشيل : أذلك لأننى لم أتغير كثيراً ؟ أم على العكس ؟ . . بالطبع أنت تعلمين حالتى . . وفضلا عن ذلك ، فأظن أنه ما كان ليطيق . . ولكن إذا تدبرنا الوضع الذى أصبحت عليه الأمور الآن ، رأينا أن ذلك يكاد يكون واجباً من واجبات مهنته . .

إدميه : آه ! اسكت .

ميشيل : لا شك أن زوجك في غاية الأناقة من جميع الوجوه إنه يمثل مهنته أصدق تمثيل . . أنت تقولين إنك لا تستطعين رؤيتى . . حسن . . أما أنا ، فأمرى غريب ، ذلك أننى لم أتأثر مطلقاً بوجودى بجانبك من جديد . أقول مطلقاً ، ونستطيع جميعاً أن نقول ما نشاء ، ولكن هناك أجزاء من نفوسنا كأنها جلد

ميت ، ونستطيع أن نقص منها ما نشاء دون أن تنزف منها الدماء . . وقد وقعت لى أخيراً تجربة غريبة ، فعندما فتحت الصحيفة طالعت هذه العبارة : نعلن خبر وفاة مدام كلود ليموان . . اسم شبيه باسمك . . حسن . . فماذا كان منى . . لا أستطيع أن أقـــول . . لقد كان ذلك أمراً بعيداً . . وكأنه لم يحدث لنا .

إدميــه : (مصوبة عينيها) هذا مريح .

ميشيل : أفترض أننا نموت كلا واحداً ، ولكننا نحيا قطعـــة قطعة .

إدميــه : (في مرارة) — ربما كان ذلك حقاً بالنسبة للرجال . . ولكننى ما زلت أنا نفسى دون تغيير .

ميشيل : أتعتقدين ذلك ؟

إدميــه : ما زلت نفسى تماماً .

ميشيل : وهذا يعنى ؟

إدميــه : أوه . لا تستنتج منه شيئاً . . أنا أفترض أنى لم أحب أحداً على الإطلاق .

ميشيل : لقد وصلت أنا نفسى إلى هذه النتيجة منذ زمن بعيد . .

إنك لم تحبي أحداً على الإطلاق . وربما كان ذلك هو السبب في . .

إدميـــه : . . . أن النعي الذى قرأته لم يجعلك تنتفض . .

ميشيل : في ذلك الحين . . ومنذ أن تحققت تماماً مما سيحل بى . . أخذت أستعرض وجوها كثيرة . . وكان من بينها وجهك .

إدميـــه : بين عدد كبير من الوجوه .

ميشيل : إننى لم أعدها . . وكان وجها بارداً، متقلصاً لا رحمة فيه . . لم يكن وجهاً يتسم بالشجاعة . . وإنما كانت العينان مطرقتين إلى الأرض ، وكانتا عابستين . . أوه . . افترض أنهما كانتا تتألقان يوماً ما ، ولكننى لم أعد أتذكر ذلك .

إدميـــه : ولما كانت الذكرى هى وحدها الصادقة .

ميشيل : بالضبط (صمت) . .

إدميـــه : وبعد . . أكان من الواجب أن أشعر بالشفقة نحوك ؟ كلا . . إن هذا غريب منك .

ميشيل : ولكن . . إذا كان ذلك لم يحدث لنا ، ألا تعتقد أنه من العبث استرجاع هذه القصة ؟ آه لو علمت كم

هى تبدو لى عارية من كل زينة . . إننى أراهـا ، ولنسمها قصة حب ، فى ضوء معتم .

إدميـه : إنها ليست قصة « سان ــ لو »

ميشيل : هذا ممكن .

إدميـه : ألا يبقى لك بعد هذه السنين العشرين إلا هذا الشعور ضدى . . هذا الشعور بالعداء ؟ لماذا تضحك ؟

ميشيل : ذلك لأن هذه الكلمة لا تناسب المعنى على الإطلاق . إنك لا تريدين أن تصدقينى حينما أقول لك إنى الآن. . . ولكننى كنت أحقد عليك . . أحقد عليك إلى حد الموت . .

إدميـه : أكنت تحبنى إذن ؟

ميشيل : إن شطراً منى كان يحبك . . ومادام هذا الشطر قد مات . .

إدميـه : هذه مجرد ألفاظ .

ميشيل : لو عرفت إلى أى حد يعتبر هذا الذى يعيش منى بعد شيئاً ضئيلاً . . . لما بكيت على ما تبقى منى .

إدميـه : (بصوت متهدج) إننى لا أفهم عـلام تلومنى . يا إلهى ! بعد عشرين عاما ما زالت تعذبنى . .

ميشيل : أعذبك ؟ ولكنك كنت على صواب الآن . . إنك مازلت كما أنت . . وأذكر كيف كنت تعاتبينني على الكلمات التى تنتزعينها أنت نفسك منى . . ومع ذلك فإن النساء الأخريات أيضاً على هذا النحو .

إدميه : ولكن أكان هناك نساء أخريات في ذلك الزمن أيضاً ؟

ميشيل : لقد كان يعجبك أن تعتقدى ذلك ، وكنت حريصاً على ألا أنزع عنك هذا السرور .

إدميه : لست أفهم .

ميشيل : مشهد الغيرة الذى قمت به في المحطة الصغيرة . . حيث كنا نرتجف من البرد ذات مساء . عند عودتنا من « فالنس » . . (يهز رأسه في ابتسامة) . .

إدميه : أتريد أن تقول إننى لم أكن صادقة ؟

ميشيل : كل النساء صادقات ، كل النساء سيئات النية .

إدميه : يحس المرء أن هذا الكلام ينطوى على تجارب غنية .

ميشيل : يؤسفنى أن أقول لك إنه منذ أن حدثت بيننا القطيعة . . لم أظل وفيا لك .

إدميه : ثم إنك لم تخف عنى نواياك . . فإن خطابك . .

ميشيل : بل رَدّى . . لقد اعتقدت أنك أردت أن تجعلينى في حل من أمرى .

إدميــه : لقد عرفت كيف تستغل ذلك أكبر استغلال . .

ميشيل : أكبر استغلال .

إدميــه : ما أشبهك بنفسك !

ميشيل : لقد استغللت هذه الحرية التى أعدتها إلى أكبر استغلال ممكن . . حسن . . إننى استغللتها إلى درجة أننــى سأموت بسببها . . الأمر في منتهى البساطة كما ترين. وتستطيعين أن تتحققى من أنه لاوجود لأية رعشة في صوتى .

إدميــه : أمن الممكن أن يقتلك خطاب ؟ إنه لم يتضمن أيــة كلمة يمكن أن تجرح شعورك .

ميشيل : إن الطريقة التى كشفت بها عن علاقتنا لزوجك ..ثم بعد ذلك هذا الشعور الجبان بالحاجة إلى الترقيع . .

إدميــه : ولماذا تصف هذه الحاجة بالجبن ؟ لقد كان فيهاشىء من المخاطرة . .

ميشيل : لم يكن فيها شيء من هذا، وأنت تعرفين ذلك . وإنى لأذكر ما كنت تقولين عن زوجك . . كلا . لقــد

وضعت كل شيء في الميزان ، وقدرت أن الراحة النفسية والأمن ، وسكينة الروح . . وماذا أدرى . . شيء في الميزان ، وقدرت أن الراحة النفسية والأمن، سكينة الروح . . وماذا أدرى . .

إدميه : إنى لم أزن شيئاً . . كل ما في الأمر أنى أحسست فجأة أن حياة الأكاذيب هذه تفزعنى .

ميشيل : هكذا . . فجأة ؟

إدميه : ثم . . . لو أنك أردت . . .

ميشيل : كيف ؟

إدميه : لو أنك عرضت على الفرار معك . . . لوافقت. .

ميشيل : ومع ذلك فقد عرضت عليك ، ورفضت .

إدميه : لقد أحسست بترددك . . . ولو أنك ألححت . .

ميشيل : ألا ترين أنه من المبكى حقاً ، بل مما يدعو إلى السخرية أن نناقش غراميات صبانا ! فأنا بعد ثلاثة أشهر ، سأكون في مقبرة بيرلاشيز . . وأنت ! لا ماذا أقول يا إلهى ! . . قد تصبحين جدة . . ولهذا فإنى أتساءل حقاً . .

إدميه : إنك عندما قلت الآن . .

ميشيل : ماذا ؟

إدميـــه : أريد أن أعيد العبارة التى قلتها عن حريتك . . لكأنك تجعلنى مسئولة عما حدث لك . .

ميشيل : يا للحماقـــة !

إدميـــه : بلى . . بلى . . لقد قلت ذلك بلهجة أعرفها جيداً . . ألم تكن جاداً في ذلك ؟ قل إنك لم تكن جاداً ! لكأنما حقنتنى بالسم . . هذا مروع . . ولكن لو أنك كنت متمسكا بى ، لمَا عَرضْتَ على هذا العرض مرة واحدة في لحظة من لحظات النشوة . . . ولكنتَ أعدته على مرة أخرى .

ميشيل : (ينظر اليها محدقاً فيها ببصره) — أأنت واثقة أن ذلك لم يكن إلا لأنك تعرفين أننى سأتحدث إليك عن ذلك مرة أخرى ، ولأنك كنت تخافين أن . .

إدميـــه : وبعد ؟

ميشيل : ولهذا أفضيت إليه بكل شيء . . إن ذلك يبدو كما لو كنت قد سارعت بإقامة جدار بيننا .

إدميـــه : لا أفهم .

ميشيل : إن عطفه وكرمه اللذين حسبت حسابهما مقدماً . .

إدميـــه : وكيف حسبت حسابهما مقدماً ؟

ميشيل : (بقوة) اللذين حسبت حسابهما ، قد جعلا رحيلك امراً محالا . . إنك كنت تتحدثين عن المخاطرة ، أما المخاطرة الحقيقية الوحيدة فقد كنت . . كنت أجبن من أن تُقدمي عليها . . لقد اخترت أسهل طريق . . وهو طريق الاعتراف . . ها أنت ذى لاتعترضين مجرد اعتراض، ذلك لأن ما أقوله حق لاشك فيه .

أوه . . وفضلا عن ذلك فإن الحب . .

(يبدى حركة تدل على الاشمئزاز) . . قبل أن أذهب كان لابد لى من شيء اقل استهلاكا . . أقل ابتذالا . (ينظر إلى الجانب الذي خرجت منه أسموند تراقبه إدميه في قلق) . . ثم . .

إدميه : إنك لم تجب على السؤال الذى وجهته إليك الآن . . إننى عندما سأخلو إلى هذه الفكرة . . ولكن هذا سيكون فظيعاً . .

ميشيل : أية فكرة ؟

إدميه : (تخفى رأسها بين كفيها) ـ فكرة أن ذلك كان نتيجة لخطئى بعض الشيء . .

ميشيل : أرى . . أنك تحرصين كثيراً على أن أقدم إليك شهادة . . حسناً . . إننى آسف جداً ، ولكنى لا

أستطيع . ثم إنك تفتقرين كثيراً إلى الخيال .. إنك لم تدركى مطلقاً أنى كنت أحبك .

أوه ! . . ينبغى لنا ألا نرتجف لدى سماع هذه الكلمة . أولا ، لأن هذا كله قد أصبح شيئاً بعيداً . . هيه ثم إنه أشبه شيء بالمرض القذر . . ولكن لو كان لديك من الجرأة أكثر مما لديك ومن الفضيلة أقل مما لديك ، حسن ، لربما استطعنا أن نحيا حياتنا . ولكن . . بعد اعترافك ، ماذا أقول ! أظن أنك قد استنمت ، وأنى قد انحدرت . . ويكفى أن تنظرى إلى . إن هذه أشياء لا يمكن أن تُرْوى . (ينهض) والآن ، اسمعى ، أرى أنك قد فهمت إلى حد ما . . فينبغى أن تدعينى أرى تلك الفتاة من حين لآخر . . أوه ! وتكرمى بألا تنسبى إلى ذلك النوع من العاطفية الرخيصة . . كلا . . فمن الصعب على وأنا في هذه الحالة أن أجد أفكاراً ليست . .

إدميــه : أنت تعلم أن هذا محال . بأية حجة ؟ وكيف أشرح لها ؟

ميشيل : أوه . أخبريها بأى شيء .. أتريدين أن أعطيها دروساً في البيانو ؟ ابحثى عن مبرر ما ، وستجدينه . . إلى

اللقاء . . من هنا ، ثم إلى اليسار ، أليس كذلك ؟

(يخرج دون أن ترافقه إدميه) .

المنظر الخامس

ادميه ـ ثم اسموند

إدميـــه : (فريسة لانفعال داخل هائل ـ تجلس وتتناول كتاباً ، ثم تضعه على المنضدة ، تنهض ثم تذهب إلى الباب في آخر القاعة . . لتوار به) .

إدميـــه : (إلى أسموند التي تدخل وهي ترتدي ثياب الحمام). لقد ظننتك نائمة . . إلى من تكتبين ؟

تعالى لحظة من فضلك .

أسموند : يلوح لى أنه من العبث الدخول في مناقشة .

إدميـــه : وكذلك ليس هذا قصدى . لقد صعدت الآن إلى أعلى دون أن ندرى ؟

أسموند : إننى لا أخفى سراً . من هذا السيد الذى خرج من هنا ؟ ولماذا لم تحدثينى عنه مطلقاً ؟

إدميـــه : إنه شخص لم نعد نراه قط منذ زمن بعيد

أسموند : ولكن . . يالها من فكرة أن يزور الناس في مثل هذه الساعة !

إدميـــه : من الممكن أن نفترض أن هذه هي اللحظة الوحيدة التي يستطيع أن يكون فيها غير مشغول .

أسموند : شيء غريب . . لقد كان والدى شاحب الوجه . .

إدميـــه : إنه مريض بعض الشيء هذا المساء .

أسموند : إذن فكيف تركته يخرج ؟

إدميـــه : تعلمين جيداً أن والدك لا يتبع إلا رأيه . . ولكن ليس هذا هو الموضوع . . إنني أريد أن أفرغ من مسألة « ميجال » إلى الأبد . .

أسموند : ليست هناك مسألة عن « ميجال » .

إدميـــه : ولكن لا داعي للمشاغبة . أليس كذلك . .إنني لا أرى اعتراضاً على أن تأتى الطفلتان إلى هنا من حين لآخر . . . ولكنني أعترض على صعودك عندهم .

أسموند : بالاختصار . . أنت لا تثقين في ، ولا تفهمين أنه إذا كان لهذا الخطر وجود حقاً ، فإن هواجسك لن تزيده إلا حدة .

إدميـــه : من الذى تحدث عن خطر ؟ إن مسلكك غير لائق . . هذا كل ما في الأمر .

أسموند : وأبى . . ما رأيه ؟

إدميـــه : إن أباك لا يفطن إلى مثل ذلك . .

أسموند : أى أنه لا يرى رأيك الذى لا يخلو من جور . .

إدميـــه : أى رأى لا يخلو من جور ، من فضلك ؟

أسموند : موقف الرغبة في التصغير من شأنى . . وجرحى . . و . . بل إنك منذ لحظة وفي حضور هذا السيد ، قد جعلتنى أضحوكة .

إدميـــه : عندما يهتم المرء بنفسه إلى هذا الحد ، فإنه لايرى من حوله إلا إهانات وأخطاء . . هذا مؤكد . . ولو أنك كرست للاخرين معشار الاهتمام الذى تؤثرين به شخصك الكريم . .

أسموند : أمى . . أنا لست أنانية .

إدميـــه : هذا أول خبر أسمعه عن هذا الأمر .

أسموند : إننى أقل منك أنانية . . إنك لاتصنعين أى شيء بشغف . . وهذا وحده هو المهم . فلا حضور اللجان ، أو الإشراف على جميع التبرعات أو صنع

الجوارب هو الذى يثبت أن المرء طيب . . إناك لست طيبة . . ولست أفضل منى . . وما على المرء إلا أن ينظر إليك حين تتحادثين إلى مريض . . انك لا مطاقا . . . وكل ما تبذلينه هو . . هو . .

إدميــه : أكمــلى . .

المنظر السادس

الأشخاص انفسهم ـ كلود

كلــود : (مخاطبــا أسموند) ـ أما زلت هنــا ؟ أصغى إلى يا عزيزتى . . تسدين إلىّ معروفاً لو أعددت لى قدحاً من الشاى . . لقد تجمدت من البرد عند فور ستماير.

إدميــه : وأظن أنكما لم تصلا إلى شىء . .

كلــود : لقد تحدثنا .

إدميــه : هذا حسن . . (مخاطبة أسموند) استعملى الموقد الكهربائى . . . أليس كذلك ؟

(تخرج أسموند)

كلــود : (مخاطبا إدميه) أمكث طويلا بعد خروجى ؟

إدميــه : بضع دقائق (صمت)

كلـــود : وهل بقيت أسموند طوال الوقت ؟

إدميـــه : كـــــلا .

كلـــود : أعتقد أنني لو تنبأت بما سيكون عليه الأمر . .

إدميـــه : أرأيت . . إنني كنت على صواب .

كلـــود : كلا . . فإن ذلك كان يعد جبناً . ولكنـــه حينما تحدث عن « سان لو » . . . ثم ، لست أدرى . . هذه اللهجة الساخرة التي يشوبها الامتعاض من كل شيء .

إدميـــه : إنه مريض جداً .

كلـــود : نعم . . وكنت مضطراً أن أردد في نفسى طول الوقت أنه شخص بائس .

إدميـــه : حقاً ؟

كلـــود : ولو لم أفعل ذلك ، لقلت له أن يخرج . فإن طريقته في النظر إلى الفتاة . . ألا حظت ذلك ؟ . إن هذا بالذات هو ما لم أستطع احتماله .

إدميـــه : آه ؟ حسن . . لقد فهمت .

كلـــود : وعندما دخل . . ومد إليك يده ، أحسست في بداية الأمر كأنه شبح .

إدميــه : أجل .

كلــود : ولكنه بعد ذلك ، حينما نظر إلى الفتاة ، نمشت الحياة في وجهه .. وكان ذلك أسوأ وقعاً على نفسي .

إدميــه : (تذهب إلى الباب) نعم ! أسموند !

أسموند : (خارج المسرح) — إن الماء لم يغل بعد .

إدميــه : (مخاطبة كلود) أيمكن أن نضع شيئاً من الخمر في قدح الشاى ؟ كلا ؟

كلــود : لاداعى لذلك .

إدميــه : (في سخرية) لقد نسيت أنك قد وقعت ذلك التعهد إياه .

كلــود : ألا تستطيعين أن تقصّى على شيئاً مما قاله لك . هذا إذا كان ذلك يؤلمك ، بالطبع ؟

إدميــه : (في حدة) — كن بطراً عسير الإرضاء ، كن سيئ الظن ، كن ضيق الأفق ، فإنى أفضل ذلك .

كلــود : ماذا تقصدين ؟

(تدخل أسموند حاملة قدح الشاى ، وتضعه على المكتب) .

أسموند : لقد وضعت لك قطعة واحدة من السكر . . والآن

سأذهب للنوم . . . طاب مساؤك يا أبى . . آمل أن يمدك الشاى بالدفء

كلــود : طاب مساؤك يا عزيزتى .

إدميــه : إلى اللقاء (تخرج أسموند ـ وتمر فترة من الصمت .. كلود يشرب الشاى) أتحسن حالك بعد أن شربت شايك ؟

كلــود : وبعــد ؟

إدميــه : حسن . . لقد حدث شيء ما .. كلود ! إننى فى حاجة إليك . . يجب أن تساعدنى . . يجب أن تكون قادراً على معونتى . . . فهناك فكرة مخيفة على وشك أن تستقر فى نفسى . اطردها . لقد تحدثنا عما حدث فى الماضى . . ولكن ، لا داعى للحقد علينا . كان ذلك غريباً جداً . . وكأن ما حدث قد حدث بالأمس . كأن هذه الأعوام العشرين لا وجود لها . . ومع ذلك فهو يحتضر . . وأنا . . أنا . . لقد اكتشفت أنه أكثر تعاسة مما كنت أظن . . بل إنه ليس تعساً فحسب. . إنه يائس . . وربما كان ذلك هو السبب الذى جعله يحيا ذلك الوجود الذى أشرف به على الهلاك . . أو على الأقل . . هذا ما يعتقده . . وبالطبع ، من الممكن

أن يكون مخطئاً . . وربما . . لو أنى استطعت أن أقنع نفسى على الأقل بأنى قد أحسنت التصرف عندما اعترفت لك بكل شىء . . لكنـــه يدعى . . أن ذلك لايمكن أن يكون صحيحاً . . هذا أكثر مما . .

كلـــود : ما هذا الذى لا يمكن أن يكون صحيحاً ؟

إدميـــه : إنه يقول إننى كنت خائفة ، وإننى لم أجد الشجاعة الكافية لقبول الحياة معه ، وإننى اعترفت لك كى أقيد نفسى ، لكى أسد الطريق فى وجهى . .

كلـــود : لست أفهم .

إدميـــه : بل أنت فاهم ، فقد كان المقدر أنك بعد أن تعرف كل شىء ، وتصفح عنى ، لم يعـــد فى وسعى أن أهجرك ، أتفهم ؟ . . إنه يقول إنه لم يكن هنـــاك ما أخشاه من ناحيتك ، وأنى كنت أستطيع المضى دون حرج ، وهـــذا حق ، فإننى لم أكـــن أخشاك. وهذا هو أفظع ما فى الأمر (فى مرارة متزايـــدة) والحقيقة أنى لم أتحدث إليك ذلك المساء ، كمـــا لو كنت زوجى .

كلـــود : إدميـــه !

إدميـه : هذا سبب كل شيء . فلو أنك كنت زوجي ، ولو أنك أحببتني كما يحب المرء زوجته بكل ما فيه من حسنات وسيئات .

كلـود : سيئات ؟

إدميـه : أنت تعلم جيداً أنني لم أكن لأخونك في هذه الحالة.

كلـود : إنك لستِ في تمام وعياك . .

إدميـه : إن صوتك يبدو فجأة زائفاً في سمعي .

كلـود : إن الثقة التي وضعتها في . .

إدميـه : الثقة ! كلما أحب المرء ، ازداد ارتياباً . .

كلـود : بالنسبة لقلوب مثل قلبينا . .

إدميـه : أولا إن هذا الصفح الذي لم يكلفك شيئاً ، لم يكن من حقك أن تمن علي به .

كلـود : أليس من حقّي أن أحميك من نفسك ؟

إدميـه : هذه مجرد كلمات . . فقد كنت حَكَماً وطرفاً في القضية . . أوه ، إنني لا أريد أن أقول إنك كنت تحبني . لا تعترض . . فلنقل إنك كنت تحبني في الله . . كلا . . ولكن ، لم يكن هناك حينئذ غيري .

كلـــود : والباقي لم يكن له اعتبار .

إدميـــه : سلطانك على النفوس ؟ دعنا من ذلك ، إنك لست عادلا في هذه اللحظة . . فإن الفضيحة الناجمة من وقوع الانفصال بيننا . .

كلـــود : لم تكن لتقع إلا عليك .

إدميـــه : ولكنك لست جاداً في اعتقاد ذلك . . ثم على الأخص. على الأخص . . كانت فرصة رائعة لإظهار مواهبك التبشيرية . .

كلـــود : (ينهض شاحب الوجه) اخرسي .

إدميـــه : أه ! لقد ثُبت إلى نفسك .

كلـــود : اخرسي . . فإنك تحطمينني .

الفصل الثالث

المنظر الاول

كلود ــ فرانسيس

(فرانسيس جالساً إلى المائدة يكتب تذكرة دواء) .

فرانسيس : المسألة بإيجاز عبارة عن إجهاد عصبي ، ودواء مقوى يفيدك في هذه الحالة .

كالــود : سيكون في وسعك أن تذهب لتطمئن والدتى . . وعلى كل حال لست أفهم لماذا يقلق المرء باله من أجل أمر تافه لا يستحق كل هذا العناء .

فرانسيس : والواقع أن ذلك يرجع إلى المرض الذى أفضى بوالدنا إلى الموت . . أتفهم . . ولكن لا علاقة بين هذا وذاك . (ينهض) إليك هذه الوصفة . . ملعقة مرتين في اليوم الواحد قبل تناول الوجبتين الرئيسيتين. والآن ياصغيرى . .يجب أن أذهب بأسرع ما يمكن .

كلــود : اصغ إلى . . كنت أود أن أنتفع بانفرادنا . .

ولكن يجب أن تعدنى بأن تقول لى الحقيقة . . أليس كذلك ؟ إننى أعتمد على ذلك . . وهذه هى المسألة .. إنها بخصوص ما حدث منذ زمن في «سان — لو » .

فرانسيس : كنت أرتاب ريبة قوية في أن هناك شيئا يشغلك .

كلـــود : إن الأمر يتعلق بى . . أريد أن أعرف مثلا إذا كنت قد أيدتنى حينما صفحت عنها ، فهل أيدتنى ؟ . .

فرانسيس : أنت تعلم جيداً أننى لم أسمح لنفسى مطلقاً بأن يكون لى رأى في هذا الموضوع . . وفي مثل هذه الحالة يتصرف كل إنسان بما يمليه عليه قلبه أو ضميره أو أى أمر شئت . . وأعترف لك بأننى لا أفهم معنى سؤالك .

كلـــود : ألم يدهشك ما فعلت ؟

فرانسيس : كلا . . مطلقاً . . لأننى أعرف شخصيتك ومعتقداتك . . يا إلهى ! . . بل و . .

كلـــود : (بابهجة غامضة) — ومهنتى ! ؟ . .

فرانسيس : من حيث ارتباطها بشخصيتك . . أجل . . بلا شك ..

كلـــود : لقد وجدت هذا أمراً طبيعياً جداً . .

فرانسيس : ولكن..قصارى القول..إلى أين تريدأن تصل ياصغيزى

كلــود : هذا بالذات ما كنت أريد أن أعرفه .

فرانسيس : إنى مازلت أعتقد حتى اليوم ، أنما فعلته حينئذ كان يتمشى مع أساوب الحياة الذى أرتضيته لنفسك (صمت)

كلــود : شكراً . . لقد أجبتنى في وضوح تام .

فرانسيس : (يأخذ رأسه بين يديه) وأخيراً . . ماذا يعنى هذا كله؟ أيمكن أن يكون الأمر مثلا ؟ . . لا بأس أن أؤجل عيادتى لمريضى بعض الوقت ، فلينتظر . . إنى أريد أن أتبين المسألة في وضوح .

كالــود : أوكد لك أنه لا أهمية لذلك على الإطلاق . .

فرانسيس : إنك على وشك الإصابة بلوثة . . لقد أخطأت خطأ شنيعاً حينما لم أطرد هذا المسمى ميشيل سانديبه . . ذلك لأنه مما لاشك فيه أن . . .

كلــود : إذا كانت حياتى يعتورها شيء من اللبس والغموض. . فقد كان من الأفضل أن أبدده .

فرانسيس : لَبْس ؟

كلــود : إذن ، فربما لم تفهم ما أريد ؟ . المسألةأن المــرء قــد يعيش أعواماً طويلة على فكرة معينة عن نفسه ، ويعتقد أنه يستمد منها قوته . ثم يلاحظ في النهاية أنه ربمــا كان مخطئاً في ذلك خطأ فاحشاً .

فرانسيس : ومن الذى يتحدث عن ذلك ؟

كاـــود : ربما . . بل إنه لايستطيع حتى أن يتأكدمن ذلك ، وبالتالى لايستطيع أن يعرف . . .فيحس بالضياع . . . أخيراً كان ينبغى أن تكون أفكارى وأقوالى القديمة شفافة بالنسبة لى . . وكان يجب أن أتعرف على نفسى وكأننى في منزلى الخاص . . حسناً إن الأمر الآن على خلاف ذلك . . ولم أعد أستطيع النفاذ إلى نفسى .

فرانسيس : إنك تبدو لى في هذه اللحظة ، وكأنك تقوم بتفليق الشعرة إلى أربع شعيرات . .ولكن خذ حذرك هذا كل مافي الأمر لأن هذه التأويلات المــوغلة في البروتستانتيه لاتخلو من أخطار .

كلـــود : هذه الاخطار . . أنا لا أخشاها . إننى ألتقى كل يــوم بــأناس . يعتبروننى ضميرهم الخاص . .

فرانسيس : هذه غلطتهم فليتحملوا وزرها .

كاـــود : إننى إذا لم أجد الشجاعة لاستشفاف مافي نفسى .

فرانسيس : إنها ليست مسألة شجاعة . . .(ينهض) هيابنا . . . يجب أن أتركاك الآن . .

ولكن . . احترس ، فإن هذه الحماقات تكلف. . . وأحياناً تكلف كثيراً .

كلـــود : تحدث إلى يافرانسيس بوصفك إنساناً . . لا بوصفك إخصائياً . .

المنظر الثاني

الأشخاص انفسهم ـ ادميه

إدميـــه : هذا أنت ؟ لم أكن أعرف أنك هنا .

فرانسيس : إنها أمي التي طلبت مني المرور من هنا . . فإن صحة كلود قد أثارت القلق في نفسها ، وأنت تعلمين أنها تجزع سريعاً .

إدميـــه : فماذا وجَدْتَ ؟

فرانسيس : لاشيء . . مجرد إرهاق عصبي بسيط ، الضغط عادى والقلب سليم (بصوت منخفض) حسن . . هل وصل الساكن الجديد ؟

إدميـــه : أجل . . إنه الآن يضع أدوات حمامه في حجرته . .

فرانسيس : أه . . أه . .

إدميـــه : أجل . . فهذا هو شغله الشاغل الآن .

فرانسيس : إلى اللقاء . . ياعزيزى . . أستطيع الاعتماد عليك. . . أليس كذلك ؟ إلى اللقاء يا إدميه. . (يخرج) .

المنظر الثالث

كلود ـ ادميه

إدميــه : وهكذا تشعر بأنك مريض .

كلــود : كلا ، على لإطلاق . . وأحب أن أقول لك مرة أخرى إنها أمى التى خيل إليها . .

إدميــه : (شاخصة إليه) إن وجهك شاحب اللون .

كلــود : دعينى من هذا .

إدميــه : أه ! إنها غلطتى . . آه لو علمت كم أحقد على نفسى .

كلــود : لقد كشفتِ لى عن أعمق أعماق فكرك . . فليس من حقى إذن أن ألومك على ذلك .

إدميــه : أعمق أعماق فكرى ! ولكن هل أعرف أنا هذه الأعماق ؟

كلــود : ألا تذكرين أول من أمس ؟ . . .

إدميــه : بلى ، وقد كنت مخلصة فيما قلت ، ولكن لا أدرى ، لاشىء يثبت للبحث ، لاشىء يتسم بالصلابة ، وهذا الذى تظنه أرضاً صلبة قد يكون هوّة .

كلـــود : إنها كذلك ، إنها هوّة .

إدميـــه : غير أن هذه الهوة نفسها تزول بامتلائها .

كلـــود : هذا يعنى أننا نغض عنها نظرنا .

إدميـــه : أؤكد لك أن الاكتشاف الذى بدا لك عميقاً والذى آلمك إعلانه لم يصبح شيئاً . . بل إننى أعجب كيف أمكن تصديقه. فلتعلم أننى فكرت ملياً منذ ذلك اليوم . وعندما تظهر هذه الومضات فجأة ، فليس على المرء إلا أن يغمض عينيه . . ولابد للمرء أن يثق في نفسه .

كلـــود : حسن . . إنك تخدعين نفسك عامدة ، كما أنك تعيشين على أوهامك . أما أنا ، فلا أستطيع . .

إدميـــه : (مرتجفة) . . هل أستحق أنا ، لما كان منى حتى الآن ، هذا اللوم ؟ تكلم . (صمت ثم تقول في حزم) ليس من حقك أن تشك في نفسك . . إنك هنا لكى تمنحنا القوة . . إنها مهنتك أولا وقبل كل شيء . . إننى لاأستطيع أن أحتمل فكرة أستسلامك . وأخيراً . فكر في المحنة التى أجتازها الآن . . ذلك الرجل . . فإذا لم أجد فيك سنداً . .

كلـــود : (بعمق) . . . لقد اعتقدت أن هذا العفو كان عملا

من أعمال الإحسان ، عملا يليق برجل مسيحى (حركة من إدميه) . فإذا كنت لم أقصد به إلا الهرب من الفضيحة أو العزلة . . . أما الآن وقد أرغمتنى على أن أفتح عينى ، فإنك جئت تضعين راحتيك فوقهما لكى يسود الظـــلام مـــرة خرى . . فماذا تريدين منّى إذن ؟ وماذا فعلت لك ؟ .

إدميـــه : إننى ضعيفة . وينبغى لك أن تساعدنى .

كلـــود : لايصح أن يكون ذلك بأى ثمن ، ولا على حساب كذبة ما . . إننى لا أستطيع ذلك ولا أريد . . (صمت طويل) . .

إدميـــه : (فى لهجة مختلفة) . . حسن ، إنك على حق فى نهاية الامر إذ يجب أن نواجه الأمور مواجهة حقيقية.

كلـــود : لا سبيل إلى غير ذلك . . .

إدميـــه : ولكن ، ألا تعتقد أن أسئلة كثيرة ستعترض سبيلنا ؟ فنحن لسنا وحدنا فى هذه المسألة .

كلـــود : هل تعنين أسموند ؟

إدميـــه : لا أعنى أسموند وحدها . . وهذا الرجل الذى أوشك على الموت . . لأى شيء نرانا ضحينا به ؟

كلــود : كــفى .

إدميــه : إننى أجيب عوضاً عنك : إننا ضحينا به في سبيل أنانيتنا ، في سبيل جبننا .

(نحس أنها على وشك البكاء . . تشيح بوجهها عن كلود ، وتهتز كتفاها برجفة تشملهما) .هذا إذن هو كشف الحساب . ومسئوليتى في ذلك ليست أقل من مسئوليتك .

كلــود : (في شبه وثبة) ومع ذلك فقد أنقذتكما أنتماالاثنين.

إدميــه : ممّ ؟

كلــود : ماذا كنت تصبحين بغيرى ؟ كان من الممكن أن يخدعك بدورك .

إدميــه : فلنفرض ذلك . . فماذا كان جزاء إخلاص == كإخلاصك ؟

كلــود : لابد أنه سبب لك العذاب .

إدميــه : إنك تعلم أنه عندما يكون الحنان مجرد فضيلـــة وظيفية . . .

كلــود : والصغيرة . . إذا كان قد أصبح له ملاذ . .

إدميـــه : ياله من ملاذ دافئ ! . . أوه . . إننى أفهمك جيداً ، فهذا الإفلاس الذى يواجهنا . .

كلـــود : لا إفلاس هناك ، وأيا كانت نقط ضعفى ، فأنا دائما كما أتصور نفسى . . . ومن العبث أن تحاولى هدمى.

إدميـــه : ربما كانت هناك وسيلة لإثبات ذلك .

كلـــود : لإثبات ماذا ؟

إدمـــيه : إنك كنت دائماً كما تتصور نفسك .

كلـــود : لماذا يوجد كل هذا الخبث في عينيك ؟ ماذا صنعت لك ؟

إدميـــه : إنك لم تصنع بى شيئاً . . . لقد كنت أنت نفسك . . وكنت أنا نفسى ثم تزوجنا . . وهذا يكفى . . أمـــا ما تسميه بخبثى . . فأنت تعلم أن عشرين عاماً مـــن العـــذاب . .

كلـــود : من العذاب ؟

إدميـــه : إنى لم أكن أعرف ، أنا نفسى ، كم تعذبت . .فقد نسيت ذلك . . إننى لم أحس بذلك إلا في الأوقـــات الأولى ، قبل أن ألتقى بميشيل ، وعندما علمت أن الحب بالنسبة لك . .

كـاـــو د : بل لقد أحببتك بهذه الطريقة .

إدميـــه : كلا . . لقد كانت لديك قوة صحيحة غير منقوصة وقد أنفقتها معى كما لو كنت تنفقها مع ابنة لك . ولكن . . ليس هذا هو الحب ، وأنت تعلـــم ذلك جيداً . . أما غير ذلك ، أما حبك لروحى ، أمـــا المرأة التى توجد داخل نفسى ، فإنك لم ترضها ، بل إنك لم تفطن إلى وجودها . . .

كلـــو د : المرأة التى في نفسك ؟

إدميـــه : أجل . .إنك لا تستطيع أن تفهم . . أوه . . مـــن المحتمل ألا يكون هذا ذنبك . . إن ذلك كله هو الضريبة التى دفعتها على فصائلك . (صمت)

المنظر الرابع

الأشخاص أنفسهم ـ فريد

فريــــد : (يفتح الباب بهدوء) ـ عفواً . .

إدميـــه : ما هذا ؟ من الأفضل في المستقبل أن تقرع الباب . . أتفهم ؟

فريــــد : بالطبع ، إنه لن يدخل .

(يلقي نظرة تساؤل على كل من كلود وزوجته)

إدميـــه : برميل الحمام ؟

فريـــد : لست أدرى ما ينبغي فعله ، وقد جئت ألتمس لديكما النصيحة . إذ أني قد دفعت من أجله رسوماً زائـــدة على متاعى تبلغ مائتان من الفرنكات ، فهل يستطيع المرء بيعه ؟ (موجهاً كلامه إلى كلود) يا سيدى . . ثمة نصيحة أخرى ألتمسها عندك . هل تستحق دروس « لا فيل » عناء حضورها حقاً ؟ هناك من يقول إنها هائلة . . ولما كان والدى قد كتب إلى أن أنتفع إلى أقصى حد من إقامتى . . غير أن ما يحيرنى هو أن أستاذ السلاح الذى يقيم هنا بالقرب منا يلقى دروس الشيش في الوقت نفسه ، ولما كانت أمي قد أوصتني . بألا أهمل التمرينات الرياضية . . . سيدى ، ماذا تعتقد ؟ أيمكن أن تكون هذه الدروس حقاً هائلة ؟

إدميـــه : دروس « لا فيل » أم دروس الشيش ؟

فريـــد : « لا فيل » ياسيدتى . . فإنني أعلم ما هو الشيش . .

إدميـــه : من العسير أن أرد عليك الآن ، فنحن مشغولان في هذه اللحظة . . بعد قليل . . أليس كذلك ؟

فريـــد : أرجو المعذرة (يخرج) .

المنظر الخامس

كلود ـ ادميه

إدميــه : وفي ظرف ثلاثة أعوام سيكون هذا الصبي في إحدى مصحات الأمراض العقلية بجبال الجورا .

كلــود : (في صوت مختنق) ـ ماذا كنت تريدين قوله في هذه الساعة ؟ ما هو هذا الدليل ؟

إدميــه : أتريد أن تعرفه ؟

كلــود : ما هــو ؟

إدميــه : حسن . . لقد شاهدته مرة أخرى .

كلــود : أكنت عنده ؟

إدميــه : لقد ضربنا موعداً عند « لوتسيا » حيث يقطن . . ثم خرجنا معاً . ولكنه كان لا يكاد يستطيع المسير ، ولم يلبث التعب أن استولى عليه ، فجلسنا على إحــدى الأرائك الخشبية .

كلــود : ثم ؟

إدميــه : لم يعد يوجه إلىّ أى لوم . . . وكانت الحال أسوأ

منها في اليوم الآخر . وظل يحدثني عن مرضه ، كما سألني بوجه خاص عن أسموند ، وسألني متى يستطيع أن يراها مرة أخرى .

كلـــود : (بقوة) — إنني لا أريد أن يراها مرة أخرى . .

إدميـــه : (بلهجة غامضة) — هكذا أنت .

كلـــود : ولكن ، بأية حجة ؟ لقد أثرنا الاضطراب في نفس الفتاة الصغيرة ذلك المساء ، وفي هذه الحالة سنضطر إلى مصارحتها بكل شيء . . وهذامستحيل ولـــن تستطيع احتماله . .

إدميـــه : أتعتقد أنها ضعيفة إلى هذا الحد ؟

كلـــود : أتحتملين أنت نفسك يا إدميه مجرد فكرة . . أن تحكم عليك ابنتك ؟

إدميـــه : إذن . . فمن أجلي تصنع ذلك ؟ كلا . . أرجوك . . . إنني لست مغفلة لأصدق هذه المهزلة .

كلـــود : إنني أفهم الآن ما يدور بفكرك .

إدميـــه : جائز .

كلـــود : ولكن . . هذا خطأ ، إنه ليس جبناً ، وإنمـــا لأنني أرفض أن ألقي الاضطراب في نفسها بلا فائدة .

إدميــه : هنا يكمن جوهر المسألة .

كلــود : إنني أكرر هذه العبارة . . بلا فائدة ، إنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً ، ولا يستطيع إنسان أن يفعل لهشيئاً . . إنه ضائع . . إنه شخص ضائع .

إدميــه : لست أدرى لماذا تصرخ هكذا . . لقد طلبت منك أن تجيب بنعم أولا . . . وأقرر أنه في اليوم الــذى يطاب منك فيه القيام بتضحية حقيقية . .

كلــود : ليس هذا صحيحاً .

إدميــه : لقد قلت تضحية حقيقية .

كلــود : ليس ذلك لأنها تضحية .

إدميــه : ستلتمس أسباباً . . وأسباباً وجيهة ، لكى تمتنع عن القيام بهذه التضحية .

المنظر السادس

الأشخاص أنفسهم ــ أسموند

أسموند : (تدخل بسرعة وقد أمسكت بيدها خطاباً) أبى . . . آمل أن يكون هذا الخطاب قد أرسل على غير علم منك ؟

كالــود : أى خطاب ؟

أسموند : (تناوله الخطاب) ــ اقرأ

إدميــه : هل أعطاك هذا الشخص خطابي ؟ إنه كامل . .

أسموند : (موجهة الكلام إلى أبيها) ــ ماذا تقول عن هــذه التلميحات ؟

كالــود : اسمعي يا عزيزتي ، لو أننا وافقنا على أن أمك قــد أمعنت قليلا في حذرها . .

أسموند : ليس في الموضوع أى حذر . . ما هذه الطريقة التي تريدان أن تحمياني بها وكأنني جماد ؟

كلــود : وبعد ! ليس في هذا ما يجرح الشعور . . فمن الطبيعي لمن في مثل سنك ألا يلاحظ بعض الأخطار .

أسموند : أية أخطار ؟ أنا ألح في وضع النقط فوق الحروف .

كلــود : إن والد هاتين الفتاتين الصغيرتين . .

أسموند : أتخاف أن يكون في رؤيتي مايسره ؟

حسن . . هذا أمر طبيعي ، ولم يكتمه عني . . وعلى كل حال فهو أرمل .

كلــود : أسموند . إن زوجته ما زالت على قيد الحياة . .

أسموند : إنه أرمل . . ولو أنكما امعنتما في دفعي إلى النهاية المحتومة . . .

إدميـــه : أهذا تهديد ؟

كلـــود : (بصوت منخفض إلى إدميه) — اتركيني لحظة معها

أسموند : أبي . قل لها إنها ارتكبت فعلة سيئة .

إدميـــه : إنني لا أحبذ هذه المحادثات . . ولكن إذا كان هذا يسرك . .

أسموند : إن أمي على حق . . فلن يفيد ذلك شيئاً .

(يقترب كلود منها ويضع يده برقة على كتفها . تنظر إليه . إدميه بابتسامة خبيثة .خبيثة . ثم تخرج).

المنظر السابع

كلود ـ اسموند

كلـــود : عزيزتي . .إنك تقفين على مزلق خطر .

أسموند : هذه الكلمة أيضاً !

كلـــود : لقد فهمت اليوم معنى ترددك في اليوم السابق .

أسموند : ثم ؟

كلـــود : هذا الرجل . .

أسموند : إنك لاتعرفه ، ولاحق لك في الكلام عنه .

كلـــود : مجرد أنه أعطاك ذلك الخطاب لقراءته . . .

أسموند : إنني أنا التي طلبت ذلك .

كلـــود : وما هي ، إذن ، علاقتكما ؟

أسموند : إنني أعتقد أن جوانحه تنطوي على عاطفة قوية نحوي ، وأنا أيضاً أحبه كثيراً .

كلـــود : ولكنك لم تعودي طفلة ، ولا يمكن أن تتجاهلي أنه قد يكون في عاطفته نحوك شيء من الشر ..

أسموند : أتقصد من الناحية الجسدية ؟ إنني لا أشك في هذا لحظة واحدة . (صمت)

كلـــود : مازلت مقتنعاً أنك لو واجهت الواقع لفهمت . . إن هذا الموقف لامخرج له .

أسموند : ربما لم يكن هذا يقينا مطلقاً .

كلـــود : أتفكرين في وفاة زوجته ؟

أسموند : أوه ! هذه المرأة ، إنها ستدفننا جميعاً .

كلـــود : ثم . . (صمت) . وأخيراً ماذا تأملين ؟ وعلى أي شيء تعتمدين ؟

أسموند : إنني لا آمل شيئاً ، ولا أعتمد على شيء، كل مافي الأمر أنني في حاجة إلى النظر في نفسي بوضوح .

كلــود : أرأيت ، إنك لست متأكدة حتى لها تشعرين به . . ولحسن الحظ ، يا إلهي !

أسموند : ليس هذا ما قصدت على الإطلاق أن أقوله . . إن ما أسميه النظر إلى نفسي بوضوح معناه أن أعرف ماهو الخير وما هو الشر بالنسبة إلي (حركة من كلودا) إنني لا أوهم نفسي بشيء بالنسبة لطبيعة مشاعره . بل لو أنه لايضمر لي غير مجرد الصداقة المشوبة بالإجلال ، لاعتبرت نفسي سعيدة بذلك ، بالرغم من أنه قد يصدمك هذا التصريح . كلا . . وأعتقد أنني إذا أرتكبت عملا من أعمال الطيش ، فإنه سيسر كثيراً باستغلاله . . إن الرجال جميعاً سواء. (حركة من كلود) . وأنت يا أبي تفهم جيداً أنك لاتستطيع الحكم على ذلك . وهذا العمل الطائش ليس لي إلا أن أتجنبه ، أو أن أفعله وأنا على بينة من أمري .

كلــود : (يتحكم في أعصابه بمشقة) إنك تتحدثين في هذه اللحظة كطفلة . . أو أنك بالأحرى تبحثين عن

وسيلة لخداع نفسك ، والحق يا صغيرتي المسكينة أنك حائرة بصورة فظيعـــــة .

أسموند : كلا ، على الإطلاق ، وإني أؤكد لك ذلك .

كاـــود : إن صوتك يرتجف . .

أسموند : في اليوم الذي أتأكد أن هناك تحيزاً . .

كلـــود : بالضبط ، إن هذا اليوم لم يأت بعد .

أسموند : ما هذه المتعة التي تجدها في إثارة القلق في نفسي ؟ أوه ! إنني أعلم جيداً أن مهنتك هي ألا تترك الناس في هدوئهم .

كاـــود : بل إن من واجبي أن أجعلك تواجهين نفسك . .

أسمـــوند : ماذا تريد ياأبي . . إنها ليست أكثر من كلمات بالنسبة إليّ .

كلـــود : إن واجبي هو أن أحذرك من ذلك النوع من الغرور ، أجل من الغرور الذي تشعرين به عندما تفكرين في أن رجلا ما يضمر لك عاطفة مبهمة .

أسموند : ليس هذا من الغرور في شيء فلأول مرة .. وربما للمرة الوحيدة في حياتي يفكر فيّ شخص دون أن يربطني بصورة البيت المسيحي ، والعش الذي ترفرف

عايه التقوى . ولكنى في حاجة إلى أن أعيش بنفسى ، أما فكرة الوجود الذى ينزلق فوق قضبان ، فإنها تفزعنى ، ولست أدرى ما إذا كان هذا نوعا من الدونية . . ففى حياة رتيبة كحياتنا إذا لم تتح لنا الفرصة للاعتقاد . .

كلــود : أتتصورين . . أنها ليست سوى مسالة حظ ؟

أسموند : أجل . . إن الإرادة لاتجدى هنا شيئاً . .ولقد حاولت بما فيه الكفاية . .

كلــود : (في مرارة متزايدة) — إذن ، ينبغى أن نأخذ هذا الاستخفاف موضع الجد ، أعنى هذا الطيش الهادئ . . إنك توازنين بين الأسباب الدافعة والأسباب القابضة ولا شيء يتحرك في نفسك حين يخطر لك أن توجهى الإهانات . .

أسموند : ربما لم يكن في ذلك إهانة . .

كلــود : إنك عندما تتحدثين عن حياتنا الرتيبة . . .

أسموند : إن جميع التضحيات التى طُلبت منى حتى الآن تبدو لى باعثة على الاستهزاء والمذلة . . ولم يتغير شيء ، لم يتغير شيء على الإطلاق منذ أن كانوا يحثوننى على

أن أعطى لأطفال الدائرة الفقراء أعز هدايا العيد على نفسى . . وكذلك الأفعال اليومية الطيبة التى يجب أن تسجل في دفترى الجلدى الصغير . . إن هذا النوع من الأخلاق تتقزز منه نفسى . وإنى أوافق معاك أننى أقف على حافة . . . هوة . .

كلـــود : لقد أفسدتك كتب الأدب الرخيص .

أسموند : الأدب ، يا أبى ، إنه هو عذاب الآخرين . . . ومن العظيمة التى أغدقت عليك أنك لم تتعرض لبعض ألوان الإغراء .

كلـــود : (وكأنه يتحدث إلى نفسه) . . هذا غير محتمل . .

أسموند : يبدو لى أن هذا التفوق نفسه . . يقتضيك نوعاً من الضريبة .

كلـــود : وأنت أيضاً . (ثم فجأة) والآن ، استمعى إلى : أنك تزعمين أن الحياة هنا يسيرة ومتشابهة أكثر من اللازم ، وتشكين لأنك لاتجدين العمل الذى يسمو إليك . . حسن ، مادمت ترغمينى ، فسوف أنزع عن بصرك هذه الغشاوة . .أولا . . . نحن لسنا أسرة كغيرنا من الأسر . . .

أسموند : ماذا تريد أن تقول ؟

كلـــود : ليس من اليسير أن تصدرى حكمك على أى إنسان كان . أتفهمين ؟

أسموند : تبدو عليك التعاسة .

كلـــود : (مناجياً نفسه) . . إننى لا أستطيع احتمال ذلك.. ! !
(يكز على اسنانه)

أسموند : أهناك أمر خطير في حياتك لا أعرفه ؟

كلـــود : لقـــد أقسمت ألاّ تعرفـــى ذلك مطلقـــا ، والآن ولو أنني بحت لك به لما كان ذلك عن طيب خاطر .
(ينهض ويذرع الغرفة وهو فريسة لانفعال شديد)
ما أشد ما تساء معاملتى ! ولشد ما يظلمنى غيرى لحظة الانفجار مالسبب الاساسى في بتوّحه بسرّه لها.

أسموند : كيف أسأت معاملتك يا أبى ؟

كلـــود : أتمنى لو أن كل شيء قد انتهى بالنسبة إلىّ(١) . .

أسموند : (في مرارة) . . لما كان لاينتهى شيء أبدا بالنسبة لأى إنسان (صمت) .

كلـــود : سينجلى الأمر عن أنى لم أخلف شيئاً ، عن أنى لم أحفظ أحداً من الضياع ، وإنى لأسأل نفسى لماذا عشت . . إنك الآن في منتصف الطريق إلى الضياع .

---

(١) يقصد مسؤوليته كمذنب لها .

أسموند : (منفعلة مغالطة في القصد) ــ بل كلا .. ... .

كلـــود : بلى .. بلى ، لقد كنت في هذه الساعة ترهصين بسقوطك ..

أسموند : في مقدورك أن تمنع كل شئ .. أولا بأن تثق بي ، وأيا كان هذا السر ، فإنى أريد أن أشاطرك إياه .

كلـــود : إنك لاتدرين ما تطلبين.

أسموند : أنا أشجع مما تعتقد ..

كلـــود : وهذا معناه أنك لاتعرفين شيئاً عن الحياة .. لاشيء على الإطلاق ... لاشيء ... (بغتة) أسموند ، إننى لست أباك (فترة صمت طويلة) .! !

أسموند : (مذهولة) ــ ماهذا الذى تقول ؟

كلـــود : لقد سمعت جيداً .. أننى لست أباك . (بتاكيد انفعالى)

أسموند : أوه يا أبي .. هل أخمن ؟ هذا الرجل الذى كان هنا ذلك المساء ، ونظر إلى تلك النظرة .. تلك النظرة ..

كلـــود : أجـــــل .

أسموند : (بكراهية) ، وهي .. أوه.. . إننى ... ...

كلــود : (باطف) ـ صه !

أسموند : أبى (تنهمر الدموع من عينيها ، ويضمها كلود إلى صدره) إن رأسى يدور .

كلــود : إننى أطلب صفحك ياعزيزتى المسكينة . .

أسموند : كلا . . .

كلــود : كان ينبغى لى ألا أبوح لك بهذا السر على الإطلاق . .

أسموند : سينقضى كل هذا . . . وينبغى أن أعتاد عليه . .

كلــود : يا لصغيرتى المسكينة !

أسموند : على شرط أن تشرح لى كل شىء . . فإن من حقى أن أعرف كل شىء.

كلــود : يا عزيزتى . . . إنها قصة شنيعة ، ولا داعى لمعرفة التفاصيل ، ولا ينبغى أن تسألى . . أحداً ـ صدقينى . . إنها قسوة لامبرر لها .

أسموند : وكنت أتخيل أن لى أسرة . . (بحسرة ومراره)

كلــود : يجب النظر إلى الأشياء نظرة سامية . . (تنظر إليه أسموند) . لقد كنت محبوبة حباً رقيقاً .

أسموند : محبوبة مناك .

كلـــود : منا (حركة من أسموند) إن هذه الكارثة لم تجثم مطلقاً على حياتك .

أسموند : هل تعتقد ذلك ؟ أما أنا فانى أدرك جيداً ..

كاـــود : وحتى الآن ، بعد أن كشفت لك عن هذا السر .

أسموند : (في دهشة مستورة) — هل تريد أن تقول إنه لن يتغير أى شىء على الإطلاق ؟. .

كلـــود : عزيزتى . . افهمينى . . إننى لا أطلب المحال ، ولكن من حقى أن أطلب منك . . .

أسموند : ماذا ؟

كلـــود : أن تمتنعى عن إصدار أحكام معينة .

أسموند : ولكن ، أنصت إلى ، إننا لانتحكم في أفكارنا .

كلـــود : إلى حدما . . ولكن ، تروى . . فسيكون ذلك باعثاً على النفـــور .

أسموند : وبعد . . فهذا شىء غريب جداً . . . ولكنه يبدو في نهاية الأمر وكأنه لم يكن كشفاً . . . قلت لى إنه لاينبغى الحكم على أمى ، ولكننى أشعر أننى كنت أحكم عليها دائمـــاً . . ففضائلها ، وعطفهـــا . . وإحسانها ، وتقشفها ، كل ذلك لم يخدعنى قط . . وكأنى قد فطنت إلى أن هذا كله . . لم يكن هى . .

ولكنها تصبح هي ذاتها عندما ترميك بالخطأ . . أو . .

كلـــود : إنك تسببين لى ألماً مخيفاً . . ولا أستطيع أن أحتمل منك الحديث عن والدتك على هذا النحو .

أسموند : إذن لابد من الاستمرار في النفاق . . حتى ولو لم يوجد غيرنا نحن الاثنين !

كلـــود : يجب أن تحترمى أمك .

أسموند : أتحب أن أقول لك الحقيقة ؟ إنى أشعر كما لو كان قد انزاح عن صدرى عبء ثقيل . . أما قبل ذلك ، فلم أكن أجرؤ على الاعتراف لنفسى بأننى . .

كلـــود : بأنك ماذا ؟ . .

أسموند : أما الآن فإنى أجرؤ على . . (صمت) . . كل مافي الأمر . . أوه . ! . يا أبتى ! لو كشف كل شىء منذ زمن بعيد ، أو لو حدثت فضيحة ، وأرغمت على الرحيل . . وأبقيتنى أنا معك ، كان من الممكن أن يحدث هذا كله على كل حال . . .وحينئذ كنا نعيش نحن الاثنين في أسعد حال . .

كلـــود : أسموند !

أسموند : كان كل شىء يسير وكأنها ماتت . .لا أكثر ولاأقل . . إن موت فرد في الأسرة لايعتبر مصيبة في كل

حال . . ما أكرمك ! وكان يجب أن تحادثني عنها ، وإلا لربما اعتقدت أنها شخص يستحق الندم عليه .

كلـــود : ولكن هذا الذى تقولينه فظيع !

أسموند : والآن ، من الحق أنك كنت كريماً إلى أقصى حد . . ولم ترد أن تفصلنى عنها ، يا إلهى ! كما لو كنت . . أو لعلك استبقيتها ، معتقداً دائماً أن في وسعنا إنقاذ الناس رغم أنوفهم . . أجل . .من يدرى ما كان قد يحدث لو أنك لم تغفر لها ؟ إننا نستطيع أن نسأل أنفسنا دائماً . . ولحسن الحظ أن ذلك لم يحدث ، أليس كذلك ؟ إن الأمور لم تسر على هذا النحو ؟

كلـــود : (بمجهود) — كلا . . لم تجر الأمور على هذا النحو .

أسموند : هذا خير . وإذا كان على أن أفكر في أنك قد مثلت هذه المهزلة خلال عشرين سنة . . فإن هذا من شأنه أن يفسد على حنانك . أبى ! لقد آلمتك منذ لحظة ، وكان يبدو على أنى لا أفكر إلا في نفسى . . ولكن فلتعلم أننى أحبك حباً جماً ، وأنت تعلم ، والآن وقد قام هذا السر بيننا . .

كلـــود : كلا . . كلا . . لقد كنت مخطئاً . .إنك لست غير طفلة ومن شأن الأطفال ألا يرحموا . . .(في حماس

يائس) : صغيرتي أسموند . . يجب أن تقسمى لى على أن هذه الأفكار الفظيعة لن تعود مطلقاً . . .

أسموند : أية أفكار ؟

كلـــود : إذا كان لا بد من أن أفقدك على هذا النحو . . فلماذا تبتسمين ؟

أسموند : تبدو كما لو كنت تريد استغلال الموقف . . ولكنني أفهم موقفك . . إنك محطم تماماً . . مريض . . وحين أفكر في أنك كنت منذ اثنتي عشرة سنة أو خمس عشرة سنة ، لاتعرف . .

كلـــود : (في صوت منخفض جداً ، كما لو كان يعتريه الخجل) كلا . . لم أكن أعرف . .

أسموند : يا أبي المسكين الحبيب (تقبله) . .

المنظر الثامن

الأشخاص أنفسهم ـــ مدام ليموان

مدام ليموان : (متأثرة) ـــ آه . . هذا لطيف . . صبـــــاح الخير يا حبيبتي . . قل لى . . يا كلود . . إنني مسرورة كل السرور لما أنبأني به فرانسيس .

أسموند : وبماذا أنبأك يا جدتى ؟

مدام ليموان : ألفيت أباك شاحب الوجه ، فطلبت من عمك فرانسيس أن يمر لرؤيته . . ويبدو لحسن الحظ ، أن الأمر غير خطير (إلى كلود) . يلوح كأن عينيك حمراوان ؟

أسموند : إنها ذرة من الغبار .

مدام ليموان : لاتدعكهما أبداً . . فإن ذلك يزيدهما التهاباً (إلى أسموند) ياصغيرتى العزيزة . . إن أمك تبلغك بأنها في أشد الحاجة إليك . . وأعتقد أن الأمر يتعلق بقائمة مشتريات عيد الميلاد .

أسموند : إن أمى ليست في حاجة إلى نصائحى . . وأؤكد لك أن كل شىء سيتم سريعاً . . إلى اللقاء العاجل ، ياجدتى . . . . (تخرج) .

المنظر التاسع

كلود ـ مدام ليموان

مدام ليموان : خمـــن . . ماذا قالت لى مدام هورسو منذ لحظة .

كلـــود : وكيف تريدين أن أعرف ؟

مدام ليموان : إنهم ينوون تعيينك في أبرشيـــة كبيرة على الضفـــة اليمنى . . في شايو .

كلـــود : تعلمين أنني لا أريد أن أسمع شيئاً عن ذلك .

مدام ليموان : ويبدو أن الاقتراح سيعرض عليك بشروط مرضية جـــداً . . . .

كلـــود : ليس من عادتي أن أرضخ لأى ضغط ، واليوم الذى أغادر فيه شارع اليزيا . . .

مدام ليموان : ماذا ؟

كلـــود : لن يكون ذلك لكى أذهب إلى شارع « مارسو » .

مدام ليموان : ياطفلى العزيز . . ليس لى أن أقدم إليك أية نصيحة ، ولكننى لا أفهم لماذا لاتريد أن يكون لك مستمعون أجدر بك .

كلـــود : ليست المسألة مسألة مستمعين .

مدام ليموان : لست وحدى التى أرى أنك بفصاحتك . .

كلـــود : إننى لست محاضراً . . .

مدام ليموان : كان أبوك رحمه الله يقول دائماً : « إن مكاننا هو حيث نستطيع أن نؤدى أكبر قدر من الخدمات » .

كلـــود : موافـــق .

مدام ليموان : كانت مدام هورسو تردد منذ لحظة أن كثيراً من الناس الذين يسعدهم سماعك يخشون بعد المسافة .

كلـــود : هناك الترام . . والمترو على بعد خمس دقائق . . .

مدام ليموان : أشخاص تستطيع أن تفيدهم . . مثقفون .

(حركة من كاود) . . ولست أنا التى أشرح لك كيف أن الحياة في باريس تستغرق الناس .

كلـــود : إن وقت هؤلاء الناس ثمين جداً (فجأة) ثم هناك خبر قد أعلنه إليك قريباً ، . خبر حقيقى .

مدام ليموان : (في انفعال) ستعود إلى الاشتغال برسالتك عن ميلانشتون . . كلود ، يالها من سعادة !

كلـــود : إن الأمر يتعلق بذلك .

مدام ليموان : وا أسفاه !

كلـــود : إنه يتعلق بمنصبي الديني . فلما كنت ، للأسف ، أقل منك ثقة بمواهبي الكهنوتية ، أو حتى . .== = (يتوقف) .

مدام ليموان : ماذا تقول ؟

كلـــود : (وكأنه يحدث نفسه) ــ لقد ضقت ذرعا ، لقد ضقت ذرعاً .

مدام ليموند : أخشى حقاً ألا يكون فرانسيس قد فحصك جيداً .

كلـــود : إذن كان الأمر يهون . . ومع ذلك . . فأنت على صواب . . إنني مريض . . مريض إلى درجةالموت .

مدام ليموان : يا إلهـــى !

كلـــود : اطمئنى . . ليس فيّ مريض غير ضميرى .

مدام ليموان : لقد أفزعتنى فزعاً . . ياكلود . . أنا التى تحتبس أنفاسى لأقل شىء !

كلـــود : إذا كنت انفجر حزناً واشمئزازاً من نفسى ،فماذا يفيدنى أن أكون جيد الهضم . . هأنذا ، منذ لحظة قصيرة ، قد ارتكبت الكذب أتسمعيننى ؟

مدام ليموان : إننى على يقين من أنها مجرد طريقة فى الحديث .

كلـــود : إنها لكذلك . . اسكبى لى ذلك الشراب الدافئ ، التافه ، وكأننى عدت إلى العاشرة من عمرى. . أواه يا أمى . . إننى حاقد عايك أنت أيضاً .

مدام ليموان : حاقد علىّ ؟

كلـــود : لو لاك لكان لى الحق فى أن أكون شخصاً عادياً ، ولدخلت مكتباً من المكاتب .

مدام ليموان : كلـــود ! !

كلــود : وما أغزر الدموع التي كنت ستسكبينها لوخطرت ببالك فكرة أن لك ابناً يعمل في مكتب . . كما لو لم يكن ذلك ، على الأرجح ، هو كل ما ينبغى لى . أوه . . تلك القائمة . يا لقائمتك ! . . قائمة المهن ذات الأرقام : أولا أن أكون قساً كأبى . . كأبى الطيب ، وكوالد أبى الطيب . ثانياً : أن أكون أستاذاً لأن الأستاذ يشكل النفوس ؛ ولو عاش أرنست لأصبح أستاذاً . ثالثاً : أن أكون طبيباً لأن الطبيب هو الآخر ، يخدم الإنسانية . . .هذه هى السخافات الورعة التي جعلت منى ذلك الفاشل الذى هو أنا .

مدام ليموان : أنت ، فاشل !

كلــود : عندما استرجع الجو الذى ترعرعت فيــه ! كان اختصاص « فرانسيس » هو امتيازه في الإنسان ، وكأن اختصاصى أنا في الحنبلية الأخلاقية . . آه ! يا أماه من ذلك الزهو الذى كان يلمع في عينيك عندما كنت أعرض بضاعتى الصغيرة ، وعندما يقول الناس « إن فرانسيس هو الذكاء ، أما كلود ، فشيء أفضل من ذلك ، إنه الضمير » . ومن يدرى فربما كنت أخترع تلك الضروب من الحنبلية لكى

أبعث السرور إلى نفسك ؟ هذا . .هذا هوما نسميه تشكيل الروح لخدمة الله . . . ثم التحقت بعد ذلك بكاية اللاهوت . وإنى لأذكر أن ضروباً من القلق قد ساورتنى ، وأفضيت بها إلى والدى . . وفي هذه المرة تغيرت اللوحة .فقد استمعت إليكما من فراشى وأنتما تتحدثان طيلة الليل ، وفي صباح اليوم التالى ، كانت عيناك حمراوين أثناء تناول الفطور ، وكنت تنظرين إلى وكأنى قضيت الليل خارج المنزل . وعلى هذا النحو كنت تغرسين في نفسى حب الإخلاص . كلا ، ليست الغلطة غلطتى وحدى ، إذا كنت قد أفلست . هذه الكلمة تدهشك ، ولكنها الحقيقة الخالصة . . لقد عشت بأموال لست أملكها . . وإنما كانت دائماً ديْناً على . . والآن . .

مدام ليموان : لن أرد على اتهاماتك . . فهى ظالمة إلى أقصى حد وإنى لأعلم أنك لاتفكر فيما تقول .. ولكننى لا أريد أن تعذب نفسك على هذا النحو ؛ إننى فخورة بك . . أتسمعني؟ . واعلم أنك قد بذرت بذور الخير بملء قبضتك .

كلـــود : لاينبغى التفوه بهذه العبارات ، فليس في مقدورى أن أسمعها بعد الآن .

مدام ليموان : لقد عشت حياة مسيحى عظيم.

كلـــود : كان ينبغى أن أحيا أولاً حياة إنسان ، فأنا لست إنساناً ، ولم أعرف كيف أحب كإنسان . . وكيف أكره كإنسان .

مدام ليموان : تكره ؟

كاســود : أجل . . أجل . . أكره أيضاً . . إننى لست شيئاً ، إننى لست شيئاً .

(يتداعى فوق مقعد)

المنظر العاشر

الأشخاص انفسهم ـ ادميه

إدميـــه : (التى واربت الباب) ـ ماذا حدث ؟

مدام ليموان : إنه مريض تماماً ، ولابد من استشارة طبيب ، طبيب ، ولتسمحى لى أن أصحبه إلى لوزان ، فلدينا هناك إخصائيون بارعون

إدميـــه : جداً . . إخصائيون فى أى شىء ؟

مدام ليموان : فى كل شىء . . فى كل شىء . .

كلـــود : (فى غلظة) ـ علام تتآمران أنتما الاثنان ؟ آه ! أجل . . تستطيعان النظر إلىّ . . فأنا من صنع أيديكما .

الفصل الرابع

الديكور نفسه ـ المستخدم فى الفصل الاول

المنظر الاول

اسموند ـ ادميه ـ ثم فيليسي

(أسموند جالسة تطالع ، وتلقى من حين إلى آخر نظرة على والدتها الجالسة هى أيضاً بملابس الخروج ، وقد بدا عليها الشرود ، فلم تخلع قبعتها . . !)

إدميــه : كلا .

أسموند : فلماذا لم تخلعى قبعتك ؟ (إميه تنزع قبعتها على مهل . فترة صمت) . . أتنوين الاحتفاظ بها طويلا فوق ركبتيك ؟ (طرقات على الباب) ادخلى . . ماذا تريدين يافيليسى ؟

فيليسى : (تدخل) ـ لم توص السيدة بشىء للعشاء . .

إدميــه : افعلى ما تشائين .

فيليسى : أوه . . ولكننى لا أعلم شيئاً ، وعلى سيدتى أن تقول.

إدميــه : حسن . . عشاء الأمس نفسه . .

فيليسى : وماذا أفعل للساكن الجديد الذى أنبأنى هذا الصباح بأنه لايحتمل السبانخ ؟

أسموند : ينبغى ألا تقولى « الساكن » يافيليسى . .فليس لك أن تتلقى الملاحظات من هذا السيد ، وإن لم يكن راضياً ، فعليه أن يشكو إلى ربة المنزل . هل فهمت؟

فيليسى : هذا ما أجبت به ، ولكنه قال إنه يخشى ربة المنزل. . وما أدرانى ؟

أسموند : انصرفي ، يـا فيليسى

فيليسى : إذن . . سأفعل ما أمرت به السيدة ، عشاء الأمس نفسه . ولا ينبغى أن يشكو أحد من أن العشاء هو نفسه دائماً . (تخرج) . .

المنظر الثاني

ادميه ـ اسموند

أسموند : (دون أن ترفع رأسها ، وبعد فترة من الصمت) — هل مات ؟

إدميـه : ماذا تقولين ؟

أسموند : إننى أسأل عما إذا كان قد مات !

إدميـه : عمن تتحدثين ؟

أسموند : عنه طبعاً . . ذلك السيد الذى أتى ذات يوم .

إدميـه : أسموند !

أسموند : لست أدرى ، كما ترين ، انني لم أتعود أن أراك حزينة إلى هذا الحد . .

إدميـه : إذن ، لقد أنبأك والدك . . .

أسموند : على ما أعتقد . .

إدميـه : فلماذا لم يقل لى إنه قد تحدث إليك ؟ متى فعل ذلك ؟

أسموند : منذ يومين .

إدميـه : وأنت لم تفكرى حتى في أن . .

أسموند : لست أعرف ماذا يقال في مثل هذه الحالة . وأظن أن هناك شكليات معينة ، وهذه الشكليات لم تعلمنى إياها .

إدميـه : أنت بلا قلب .

أسموند : ليس هذا شيئاً جديداً .

إدميـه : إننى على يقين من أن والدك ، بكرمه المعهود . .

أسموند : لقد اقتصر على الإفضاء إلىّ بواقعة لاتحتاج إلى تعليق..

إدميــه : اطو هذا الكتاب ، من فضلك .

أسموند : إذا كان هذا يسرك . . (تطوى كتابها وتلتفت إلى والدتها وتنظر إليها ، وقــد أسندت مرفقها عــلى المائــدة .)

إدميــه : لن أدخل في التفاصيل .

أسموند : ألفت نظرك أولا إلى أنى لم أسألك عن شيء . .

إدميــه : ولكن ما تستطيعين أن تحدثى به نفسك هو أن ثلاثة من الخلق قد تعذبوا إلى حد الموت ، كل منهم على أيدى الآخرين دون أن يكون لأحد منهم أى ذنب في ذلك. . . والأمر لم ينته بعــد . . هــل تسمعين ما أقول ؟

أسموند : طبعاً ، ولكننى لا أفهم ماذا يعنينى من هذا كله .

إدميــه : إن شخصاً في مثل شبابك . . شخصاً تتفتح الحيــاة أمامــه . . .

أسموند : أوه !

إدميــه : ينبغى أن يشعر بالرغبة في أن يحمل شيئاً من العزاء. . . لهؤلاء التعساء .

أسموند : لست أفهم ما تقصدين .

إدميــه : هذا الشخص الذى تحدثت عنه . . .

أسموند : ذلك السيد الذى أتى ذات يوم ؟

إدميــه : إن أيام حياته أصبحت معدودة .

أسموند : (في برود) ـ هذا شيء محزن .

إدميــه : ولكنك في نهاية الأمر تعلمين من يكون . إنــه . . .

أسموند : ثم ماذا ؟

إدميــه : لاتوجد بجانبه غير ممرضة مأجورة . . (تهتز كتفاها من الشهيق المتشنج) .

أسموند : اسمعى يا أماه . . . أذكرك بأن « جونو » الصغير قد يدخل بين لحظة أو أخرى . . فإذا رآك بهذه الهيئة . . .

إدميــه : وماذا يعنينى من ذلك ؟

أسموند : آه ! كنت أعتقد أنه من الواجب على أية حال أن يتمالك المرء نفسه .

إدميــه : في مثل سنك ، لايستطيع المرء أن يتخيل ما يمكن أن يكون عليه هذا النوع المعين من العزلة . وعندما

لايعود المرء شاباً ، وعندما يصبح مريضاً ، ولا يستطيع أن يجد في ماضيه كله ذكرى سعيدة واحدة يمكنه استرجاعها . . .

أسموند : أه ! ألا يملك هذا السيد ذكريات لطيفة ؟

إدميه : لو أنك ذهبت إليه من حين لآخر ، لكان في ذلك خير له . . أما أنا ، فلست أملك من أمره شيئاً ، بل إنه يقول أحياناً إنني أسيء إليه..

(إدميه تجد مشقة في تمالك نفسها . طرقات على الباب) .

أسموند : ما هذا ؟

المنظر الثالث

الاشخاص انفسهم ـ فريد

فريد : أرجو المعذرة يا آنسة . . لم أكن أريد إزعاجك . . فليس لذلك أهمية ، . وإنما جئت فقط لأقول . . لست أدرى إن كنت تعلمين أنني كنت قد أُصِبْت في طفولتي بالتهاب الأمعاء الدقيقة .

أسموند : كلا . . لم نكن نعلم .

فُـــريد : أجل ، بالطبع ، وقد بقى من ذلك عندى . . وهناك خضر معينة لا أستطيع أن . . وعندما مررت أمام المطبخ . . ظننت أنى أشم . . .

أسموند : حسن ، سنعد لك بيضة .

فـــريد : شكراً يا آنسة ، وأرجو ألا يكون في ذلك أيةمضايقة. أرجو المعذرة ؛ ولكن والدتى هى التى أوصتنى . . وفضلا عن ذلك ، فإن أسرتنا جميعاً ذات أمعاء مرهفة .

أسموند : أجل . . أجل . . إلى اللقاء (يخرج فرد) .

المنظر الرابع

ادميه ـ اسموند

أسموند : والآن ، أعترف لك بأنى في غاية الدهشة مما تطلبين منى . وعلى فرض أننى استطعت أن أوفر من وقتى ساعة من هنا أو ساعة من هناك لكى أذهب إلى هذا السيد لأطالع له في كتاب ، فلست أفهم جيداً ما هى الموضوعات التى يمكن أن يدور حولها حديثنا . . ولن أفعل سوى أن أبعث في نفسه من جديد ذكريات مؤلمة . . ولما لم يكن هناك غير هذه الذكريات . .

إدميــه : هذه النغمة من السخرية فظيعة . . أنت مسخ من المسوخ .

أسموند : لم تتركيني أكمل جملتي . وبديهى أن أسأل أبى عما يراه بشأن الزيارات .

إدميــه : إن أباك هو العطف نفسه .

أسموند : ولكنه تصدع إلى أقصى حد .

إدميــه : ماذا تريدين أن تقولى ؟

أسموند : هذا لا يكتشف دون مقابل .

إدميــه : أى كشف ؟ ماذا تتصورين في نهاية الأمر ؟ لقد وّطن نفسه على هذا الأمر منذ تسعة عشر عاماً .

أسموند : آه ؟ (صمت) .

المنظر الخامس

الاشخاص انفسهم ــ فريد

فــريد : (مواربا الباب) ــ يا آنسة ، لا أريد إلا أن أقول إذا تعطفتم بإعداد بيضة لى ، فمن الأفضل ألا تكون ناقصة النضج إذ أعتقد أنني لاحظت أنه في باريس... ولكن ، من الطبيعى أن المسألة رهن مشيئتكم (مكتشفا

إدميه) : أوه ! . هل مدام ليموان مريضة ؟ إننى آسف أشد الأسف .

أسموند : إن والدتى تعانى ألماً قوياً في الأعصاب . .أماه ! يبدو أنه ينبغى لك أن تذهبي للرقاد لحظة . .

فــريد : إذا كان لى أن اتجاسر فأبدى رأيا ، فربما استطاعت « برشامة » أن تهدئ من آلام والدتك . . وأنا أملك صيدلية صغيرة للرحلات مجهزة تجهيزاً لا بأس به .

إدميــه : شكراً ياسيدى . هذا ن لطفك .(تخرج) .

المنظر السادس

فريد ــ اسموند

فــريد : أخشى أن أكون أنا الذى دفعت مدام ليموان إلى الانصراف . لابــد أننى أبدو في نظرك مضحكاً بسبانخى وبيضى غير الناضج وأنا على يقين من أنك ستعتقدين أننى لا أهتم إلا بالأكل . . وإنما الأمر على خلاف ذلك تماماً ، ويمكن أن تقول لك أمى إننى لا أعرف مطلقاً ما آكله . . وهذا حق ، فأنا لا أطاب مطاقاً شيئاً معيناً ، وهم يعتبروننى جميعاً في المنزل شخصاً مثقفاً .

أسموند : هذا واضح .

فــريد : ولو كنت أعلق أهمية على تلك الأشياء ، لما أتيت للإقامة هنا عند والديك . ذلك أن أناساً ممتازين مثلهما لايهتمون كثيراً بما يأكلون . وقد حرصت على أن أشرح لك ذلك لأنني سأحزن غاية الحزن لو اسقر في نفسك عنى هذا الانطباع . ذلك أن الانطباع الأول على أكبر جانب من الأهمية . . نعم ، إن هذه ليست هي المرة الأولى التى تجمعنا فيها الظروف. لاشك أنك تذكرين ذلك الصيف الذى أمضيته في إيفيلار ، في بنسيون « سولدانيل » لقد كنت حينئذ « سيكلا مين Cylcmen » مع أبناء عمي من آل دى لوكل . . إن لك ضربة مضرب مذهلة . وقد لعبنا مرة على انفراد ، إذا كنت تذكرين ذلك . . ثـــم أقيم الاحتفال في البنسيون ، وقد غنّيت أغنية ـ صغيرة . . أنيقة . . إن الموسيقى تؤثر في نفسى تأثيراً شديداً ! ومازال اللحن باقياً في ذاكرتى . وإذا كان لديك بيانو ، فإنى أستطيع أن أعزفه لك .

أسموند : إنك تتمتع بذاكرة ممتازة ، ولا بد أنها تساعدك كثيراً في دراساتك .

فـــريد : بما فيه الكفاية . . ولكن هناك أشياء غير يسيرة . . فاليوم يرى المرء نفسه مطالباً بالتضلع في الفلسفة وفي طائفة من الخزعبلات . . وهذا لايؤدى إلى شيء . ولست أدرى إن كنت مثلى . ولكننى أرى أن ذلك لاينبغى أن يكون ضروريا . . أما الذى ينبغى حقاً ، فهو أن يكون لدينا الإيمان ، وليس لى أن أشكو من هذه الناحية ، إذ في وسعى أن أقول إن لدى إيماناً عظيما ، عظيما جداً .

أسموند : لك تهنئتى .

فـــريد : أوه ! لاداعى للتهنئة ، فهذه هى طبيعتى .

المنظر السابع

الأشخاص انفسهم – كلود

كـــلود : (مخاطباً فريد) – صباح الخير يافريد .

فـــريد : (تتصاعد حمرة الخجل إلى وجنتيه) – صباح الخير ياسيدى ، أعتذر عن إزعاجى لكم ، فقد أتيت لأستعلم عن شيء من الآنسة أسموند .

كلـــود : لاضير عليك (يخرج فريد) .

أسموند : كان من المحتمل أن أسعد بالوقوع على نمرة من هذا الطراز ، إذا كان . . أرجو المعذرة يا أبي ؟

(تجلس إلى المكتب ، وتأخذ في الكتابة) .

كلـــود : إلى من تكتبين ؟

أسموند : سأقول لك بعد لحظة (تغلق الخطاب ، وتتجه نحو الباب .) فيليسى !

فيليسى : (من وراء الكواليس) . . نعم يا آنسة . .

أسموند : احملى هذا الخطاب فوراً إلى السيد ميجال .

فيليسى : (تدخل وتتناول الخطاب) ــ سمعاً وطاعة يا آنسة (تخرج) .

كلـــود : ما معنى هذا ؟

أسموند : الآن . . قل لى يا أبى ، لقد اكتشفت لتوى . . . لماذا تركتنى أعتقد أنك لم تعلم الحقيقة إلا الآن ؟ أنا لا أفهم جيداً ، وأعترف أن ذلك لم يكن أمراً مقبولا من جانبك . فأنا التى كنت أرجو أن يسود بيننا مزيد من الثقة من الآن فصاعداً . .

كلـــود : (بصوت منخفض دون أن ينظر إليها) لقد كذبت عليك بدافع من الجبن . .

أسموند : كيف ؟

كلــود : خوفاً من أن توجهى إلىّ بعض التعليقات . .

أسموند : أية تعليقات ؟ (صمت . . تحاول أسموند أن تستشف ما يدور بنفسه) . .

كلــود : (بصوت منخفض جداً) — تعليقات مهينة بالنسبة إلىّ . .

أسموند : فهمــت . .

كلــود : أين والدتك ؟

أسموند : إنها راقدة في فراشها .

كلــود : أهى مريضة ؟ (حركة تهرب من أسموند)ماذابها ؟

أسموند : يبدو لى أن بها شيئاً من اليأس .

كلــود : هل تحدثت إليها عن هذا الموضوع ؟

أسموند : بضع كلمات . .

كلــود : (في صرامة) — ومع ذلك فقد منعتك من أن تفعلى .

أسموند : إنها هى التى فتحت لى موضوع ذلك السيد . . فقد طلبت منى أن أذهب لمؤانسته من حين لآخر .

كلــود : (بعنف) — لن تذهبى .

أسموند : ليس في نيتي أن أذهب .

كلـــود : إنني أمنعك من ذلك . . وهذا كل ما في الأمر .

أسموند : تستطيع أن توفر على نفسك هـــذا التعب . . .

كلـــود : وإذا تصادف أن سمح لنفسه بالعودة إلى . . .

أسموند : هذا أمر بعيد الاحتمال . .

كاـــود : لم يعد ينقصني إلا هذا ، أن تذهبي إليه دون إذني.

أسموند : ولكنني ، لست أدري يا أبي ماذا حدث لك . .

كلـــود : بعد كل ما حدث ، تستطيعين أن تعتقدي ، لست أدري ، أنا . . ولكن ، لقد انتهى كل شيء ، إني أضمن لك ذلك . .

أسموند : ما هذا الذي انتهى ؟

كلـــود : حسبي ما تلقيته من إهانات . . آه ! . لو استطعت أن أوذي أحداً .

أسموند : لاتستطيع ذلك .

كلـــود : أوه ! بلى ، الآن أستطيع . . لو أقذف بشخص ما إلى الخارج وأنهال عليه ضرباً . .

أسموند : لن يجلب لك ذلك أي سرور .

كلـــود : (بصوت متغير) ـــ إاليك ما وصلت إليه . . إنى كما لو كنت قد شربت خمراً . . أه ! هذا مخيف . . منذ يومين كل المشاعر التى لم تعتمل فى نفسى من قبل ، وكل الكلمات التى لم يسبق لى التفوه بها مطلقاً . . آه ، لو سمعت منذ لحظة تلك ـــ العبارات التى نطقت بها بصوت يكاد يكون مرتفعاً. أخبرينى بأن هذا كله سيزول . . ولكن كلا ، لست على ثقة حتى من أننى أود أن يزول هذا كله .

أسموند : لقد خرجت عن طورك ، هذا واضح . ولكن هذه نوبة لن تدوم .

كلـــود : أجل . .

أسموند : ومع ذلك ثمة لحظات تكون فيها هادئاً تمام الهدوء . ولاتعاودك هذه النوبة إلا عندما تكون وحيداً . . .

كلـــود : إنها أشبه بفقاعات تصعد لا أدرى من أين . .

أسموند : أرأيت ؟ لقد عدت إلى الهدوء التام مرة أخرى . .

كاـــود : إناك تتحدثين إلىّ ، كما تتحدثين إلى مريض . .

فيليسى : (من الخارج) ـــ السيد ميجال يسأل إن كان يستطيع أن يتحدث إلى الآنسة .

كلـــود : كيف ؟

أسموند : أدخلى السيد ميجال .

كلـــود : أهى أنت التى طلبت إليه الحضور ؟

أسموند : أجل . .

المنظر الثامن

الأشخاص أنفسهم ــ ميجال

ميجال : (منحنياً) ــ سيدى ، آنستى . .

أسموند : إننى سعيدة لحضور والدى هذا الحديث قلت لى إنك تبحث عن شخص يستطيع أن يعتنى بإيفون ــ وسوزان من جميع الوجوه . حسن ، إننى أعرض عليك رغبتى في تكريس نفسى لهما . . .

ميجال : يا آنسة . . إننى متأثر من اقتراحك إلى حد يعجزنى عن التعليق عليه . . ولكن هذا محال . . أولا لأن وقتك لايتسع لذلك . .

كلـــود : لست أفهم كيف تزعجين السيد ميجال من أجـــل سخافة كهذه . .

أسموند : إنْ وقتى كله خال . وأنا في حاجة إلى عمل أشغل به تماما . . .

وأعظم خدمة تستطيع تقديمها إلىّ هى أن تقبل — الاقتراح الذى أعرضه عليك .

ميجال : ولكن ، لست أدرى يا آنسة إن كنت قد وضعت في اعتبارك أننى أستعد لمغادرة باريس لعدة أشهر ..

أسموند : سبق أن قلت لى ذلك .

ميجال : ووالداك . . .

كلـــود : سيدى ، أكون لك شاكراً لو فهمت أن هذا في الواقع ، أمر مستحيل كل الاستحالة . ولست — أتصور كيف أمكن أن تخطر مثل هذه الفكرة على بال ابنتى . . .

أسموند : (مخاطبة ميجال) — فكر بإمعان . .

ميجال : يا آنسة ، أعتقد . . . أنه ليس من حقى أن أوافق.

أسموند : ولماذا ، ليس من حقك ؟

ميجال : لأن هذا معناه سوء استغلال العاطفة التى أبديتها نحو ابنتىّ . . وأعتقد أنى بذلك أرتكب فعلا سيئاً .

أسموند : تجاه والدى ؟

ميجال : (مرتبكاً ارتباكاً عميقاً) — لابالنسبة لوالديك فحسب . . .

كاسود : (باسطاً له راحته) — سيدى ، أنت رجل مهذب ولكنك ترى مثلى أنه لاداعى لإطالة هذا الحديث . وحين انتهى إقناع ابنتى بما لحججى من قيمة . . .

أسموند : أعرف هذه الحجج .

كلسود : تستطيع أن ترى أن ابنتى ليست هذه اللحظة في — حالتها الطبيعية .

ميجال : (مخاطباً كلود) — لاأستطيع أن أقول لك إلى أى حد كنت أريد قبول هذا العرض الكريم . . إن شعورى أكثر من أن يكون مجرد أسف (يحتبس صوته) إن قلبى يتمزق .. إنى . . .

أسموند : (إلى كلود) — ان الأمر في غاية البساطة . . إذا لم تترك لى حرية التصرف وفقاً لإرادتى ، — فسأذهب للإقامة بجانب المريض الذى تحدثنا عنه منذ لحظة ، ولن أغادره قبل النهاية . (إلى ميجال) إنى أتكلم عن قريب لنا سأكرس له وقتى إذا رفضت اقتراحى .

كلـــود : (مخاطباً ميجال) ـ سيدى ، أتوسل إليك أن تتركني معها . ما من أحد يستطيع أن يعرف مـــا أعانيه من عذاب .

أسموند : (إلى ميجال) ـ إلى لقاء قريب .

ميجال : (مخاطباً كلود في شيء من الشفقة) ـ سيدى . من أعماق قلبي ، أقدم إليك . . . .

(يصافحه ويخرج) .

المنظر التاسع

كلود ـ اسموند

أسموند : عليك أن تختار .

كلـــود : ليس هناك محل للاختيار . ستبقين هنا .

أسموند : لن أبقى هنا على أية حال .

كلـــود : احترسى ؟ .

أسموند : لا فائدة من كل ذلك : إنك تهدد . . .

كلـــود : ولكن من تكونين إذن ؟

أسموند : إنني لست ابنتك ، هيا ، ولتذكر أننا لا نكسب شيئاً على الإطلاق عندما نستبقى الناس رغم أنوفهم.

كلـــود : إذا كنت تتحدثين عن أملك ، فقد توسلت إلى ذات يوم ألا أطردها .

أسموند : فعلام تندم إذن ؟

كلـــود : وفي اليوم التالى تضرعت إلى أن أرد لها حريتها .

أسموند : (تهز كتفيها في حركة خفيفة تدل على الاحتقار) أما أنا فأعرف تماماً ماذا أريد .

كلـــود : لن أدعك تلقين بنفسك بين ذراعى ذلك الرجل .

أسموند : لا تستطيع أن تمنع شيئاً .

كلـــود : ستصحبك جدتك إلى سويسرا .

أسموند : فلنستعرض الأمر بشيء من المنطق .

كلـــود : إن أملك لم يكن لها هذا النوع من البرود البشع .

أسموند : لسوء حظها ، وربما لسوء حظ الناس جميعاً في هذا المكان . فهذا شاب قوى ، مقيد بالأغلال إلى مجنونة إنه يحبنى ، وأنا أيضاً أحبه ، ولا يحول بينى وبينه غير تقليد اجتماعى ، أكذوبة لا تخدع أحداً . — وإذا كنت أتهرب من نفسى بمحض الجبن ، فليس من العسير أن يخمن المرء ضروب العزاء المنحطة التى سوف ينحدر إليها .

كلـــود : انك لا تخدعين نفسك فيما سيكون . . .

أسموند : على الإطلاق ، وإذا استطعت إنقاذه من هذا العار..

كلـود : ما أنت الا طفلة منحرفة .

أسموند : أرى أن مبادئك ما زالت قائمة . .
وهذا أمر يبعث على السعادة .

كلـود : يبدو كأنك ألغيت ضميرك . . .

أسموند : الضمير ، ستعترف بأن أوامره ينبغى أن تؤخذ في حذر ، ربما كنت مخطئة . . بيد أن المثل الذى أقمته لنا من نفساك . . .

كلـود : أهذه هى العبرة التى تخرجين بها من حياتى !

أسموند : المهم في نظرى هو ألا يموه الإنسان على نفسه . . أقصد . .

كلـود : وإذا كنت تصورين لنفسك أنك لاتخدعينها عندما تـدعين أنـك تستسلمين لهذا الرجل لمجرد الشفقة والعطف عليه ؟

أسموند : إننى لم أقل شيئاً من هذا القبيل . .ومن الواضح البيّن أنه لو لم يعجبنى . . وأود أن ألفت نظرك بكل بساطة إلى أنه حتى لو اعتقدنا في الفضيلة ، وفي حب الجار ، وكل هذه التشكيلة كما يقول فريد —

لكان لقرارى مبرراته الوجيهة . . وما عليك إلا أن تتناوله من طرفه هذا إذا كان طرفه الآخر يحـــر ق إذا كان طرفه الآخر يحرق أصابعك .

فسأبنى لنفسى ، أنا أيضاً نوعاً من العش على أيــة حال . . ومن الواضح أنك لن تدعى لتباركه . . ولكن مجمل الأمر . . أبى المسكين ، إنك تذكرنى بهؤلاء الناس الذين يقيمون في بنسيون بفيلارد والذين يــذهبون كــل صباح لمشاهــدة جبال الألب ـ خلال زجاج الشرفة الملون . . وهكذا يبدو لهــم المنظر على هذه الصورة أكثر فتنة ، ولكنهـــم يتحسرون في الوقت نفسه لأن الأثر الذى يتركــه ليس طبيعياً . . فتراهم يتجادلون إلى ما لانهاية له دون أن يصلوا مطلقاً إلى اتفاق فيما بينهم وبــين أنفسهم . . . وأنت مثلهم ، لاتعرف ماذا تفضل ، ولهذا تشق نفسك بنفسك . والاختلاف الجوهرى بيننا ينحصر في أننى لاأستطيع أن آخذ هذا كلــه مأخذ الجد . ولعل ذلك راجع إلى أننى استمعت كثيراً إلى الناس يلقون المواعظ من حولى عــن واجباتنا ، وعن الدين الذى في أعناقنا نحو الله .

فإذا استمع المرء إلى الحديث عن روحه كل أيــام

الآحاد من الساعة العاشرة إلى الساعة الحادية عشرة ، دون أن نحسب الصلوات اليومية . . . هناك ألفاظ ألفاظ معينة ، أفكار معينة . . لست أدرى ، ولكن يبدو لى أنه لا مفر من الشعور بنوع من الرعدة ، من الدوار في كل مرة يتفوه بها المرء أمامك . . ولكن ، هذا لايحدث ! إن موعظتك التى تلقيها يوم الأحد تكاد تكون أشبه شىء بحسابات المطبخ . وأعتقد أنها لو لم تكن ضرباً من الروتين حتى بالنسبة إليك أنت ، ولو رأيت أمامى شخصاً قد عاش في الفزع أو الدهشة . . أما دين مثل دينك ، فإنه في نهاية الأمر لايغير شيئاً في أى شىء . . . إنه يشبه أرضية اللوحة ، ولاشىء أكثر من ذلك . . وفضلا عن ذلك فإن لوحة السامرية الطيبة التى هى هناك ، تشبهك ، ولكن إلى حدما . ينبغى ألا تنظر إلى هذه النظرة البائسة ياأبى ، فهذا نوع من الاحتيال لايليق بك .

كلـود : إذا رحلت فلن يبقى لى شىء .

أسموند : وأسوأ من ذلك أن أبقى . . . فإن حياتنا ، نحن الثلاثة ، الآن . . بعد كل هذا الذى قلناه كل منا

للآخر . . لكى يكون من المستطاع أن نحيا معاً ، كان لابد من الاحتفاظ بجاء أدنى من الوهم بعضنا عن البعض الآخر . . . وعليك أن تفكر أيضاً في أنى أريد أن أملأ حياتى برسالة جميلة أؤديها . . وهى أن أحل مكان الأم التى لن تعود أبداً . . تأمل جيداً ! فكر في هذا . . إن للزجاج الملون حسناته أيضاً على كل حال . . . ولا ينبغى أن تخجل من استعماله . .

(صمت) . . .

المنظر العاشر

الاشخاص انفسهم ــ ادميه

إدميـــه : (تحس انها تترنح) . . من كان هنا منذ لحظة ؟

أسموند : إنه السيد ميجال الذى حضر برهة . .

إدميـــه : من الذى سمح له بالحضور هنا ؟

أسموند : كنت أريد أن أحدثه بمحضر من والدى .

إدميـــه : (مخاطبة كلود) ــ إذن فقد كنت حاضراً

كاســود : أجل .

إدميـــه : ماذا يعنى هذا ؟

أسموند : لقد تم اتخاذ قرار في غيابك . وأنا على استعداد ـــ؟ لإطلاعك عليه . ولكننى أقول لك مقدماً إننى أرفض وضع هذا القرار موضع البحث .

إدميـــه : أنت ؟ ترفضين ؟

أسموند : رفضاً باتاً . . . السيد ميجال يريدنى مدرسة لطفلتيه

كلـــود : (بصوت خافت) بل هذا غير صحيح .

أسموند : أتعهد بأن أحوله إلى حقيقة .

إدميه : (إلى كلود) ـــ أو تدعها تفعل ذلك ؟ هذا إذن مبلغ سلطانك عليها . .

كلـــود : (في عنف مباغت) ـــ ليس لى أى سلطان على ابنة السيد ساندييه . وأقرر في بساطة أنها خليقة بأمها وأنها تحتذى المثل الذى ضربته لها .

إدميـــه : كلود .

كلـــود : الآن . . . أصغى إلى يا إدميه ! فربما كانت هذه هى المرة الأخيرة التى تتاح لى فيها فرصة إطلاعك على طريقتى في التفكير . إذ لم أعد أهتم طويلا ـــ

بمناقشتك في موضوع الضحية الشائقة التى تجدين عليها منذ عدة أيام .

إدميــه : ماذا ؟ أتطردنى ؟

كاســود : أخشى أن يؤنبنى ضميرى إذا حرمت هذا المحتضر من عناياتك التى تتحرقين شوقاً إلى إغداقها عليه .

أسموند : أبى . . لقد عدت من جديد إلى هيئتك التى كنت عليها منذ لحظة . . إنك لم تعد مسيطراً على نفسك.

كلــود : (في خشونة) – ماذا تفعلين ، أنت ، هنا ؟ أليس من الأفضل أن تذهبى للتفاهم مع هذا الشخص عن الشروط ؟

أسموند : شروط ؟

كاســود : إلا إذا كنت تعتقدين أن تكون الخدمة بينكمـــا متبادلة ؟

أسموند : (في رقة مهينة) . . ليكن ، فلست حاقدة عليك.

(تخرج)

المنظر الحادى عشر

كلود ـ ادميه

إدميـــه : كلود ، امنعها !

كلـــود : عليك أن تستخدمى نفوذك .

إدميـــه : امنعها !

كلـــود : لم أعد أهتم منذ اليوم بك أو بابنتك .
وهذا أحد الاتهامات النادرة التى لم يسبق أن وجهت إلى مثلها .

إدميـــه : تذكر أنك قد صفحت عنى .

كلـــود : إنها تقول ذلك بابهجة جدية . . إذن ، فأنت لاتدركين أن كلمة « الصفح » هذه وحدها تكفى فى الوقت الحاضر ، إن . . أوه ! كلا ، حسبى هذا . . إن هذه التفسيرات تسبب لى الغثيان .

إدميـــه : ولى أيضا ، أؤكد لك ذلك .

كلـــود : ما قلته منذ لحظة هو صدق كله . . فهى إن تركتنا الآن ، فليس هناك داع لمواصلة الحياة معاً ، ويبدو

لى أن عليك واجبات عظيمة نحو شخص آخر .
وتستطيعين أن تؤديها وانت مرتاحة الضمير من
الآن فصاعداً . . أما بالنسبة لى ، فمن المحتمل أن
أهجر منصبى الدينى .

إدميه : (فى ارتياح مفاجئ) . . ليس هذا صحيحاً .

كلود : تلك البقية الضئيلة من القوة التى كنت أعتقد أنى ما
زلت أملكها أشعر أنى فقدتها .

إدميه : لايمكن أن تفقد الإيمان فجأة على هذا النحو . ليس
هذا ممكناً .

كلود : لست أدرى . . ربما لم أوهب فى يوم من الأيام
ذلك الإيمان الحقيقى .

إدميه : الإيمان الحقيقى . . . ومع ذلك تذكر تلك الطريقة
التى كنت تتحدث بها عن الحياة ، عندما كنا
مخطوبين ، وتلك النغمة التى كنت تنطق بها بعض
الكلمات . . . . لقد كنت صادقاً .

كلود : كنت صادقاً ، كنت سعيداً .

إدميه : وكانت عيناك تتألقان ، ويبدو لى أحياناً أننى قد
تزوجتك بسبب هذه النظرة . . فلم يكن حولى أحد

يتحدث مثلك . كانوا جميعاً قاتمى الوجوه . أما أنت ، فعندما كنت تلقى هذه الكلمات ، كانت النبرات التى تنطقها بها وحدها . . . كان ذلك أشبه بعالم فتحته أمامى .

كلــود : وقد اعترفت لى الصغيرة منذ عشر دقائق فقط أن هذه الجمل نفسها التى طال تكرارها هى التى أبعدتها عن الإيمان .

إدميــه : ليست هى العبارات عينها . إنها لم تكن قد ثلمت بعد.

كلــود : هل فتحت لك عالماً ؟ ماذا كــان هــذا العالم ؟

إدميــه : لست أدرى .

كلــود : تذكرى ما حدث بعد ذلك . فى الشهور الأولى من زواجنا . تلك الشكوك التى حاصرتنى . النزهات الطويلة التى كنت تقومين بها وحدك وتعودين منها متعبة ، كئيبة ، ذات وجه مغلق . وكنت تجيبين على كل ما أقوله بكلمة واحدة قصيرة . . فكان أن حقدت عليك .

إدميــه : لم تكن تقول لى ذلك .

كلــود : هل كنت أحبك فى ذلك الوقت ؟ وأنت ، هــل

كنت تحبينى ؟ إننا لانتذكر شيئاً من ذلك ، وربما لم نعرفه على الإطلاق . (صمت) لقد التزمت فى حياتك على أساس نظرة أو نغمة . . نظرة واحدة . . . واحـدة بماذا ؟ ذلك الوعد الغامض لم يتم الوفاء به . . هذه هى قصة حياتنا المشتركة كاملة. . . وعندما أفكر فى الله ، أشعر بنفس الشعور . كنت أعتقد أنه يتحدث إلىّ أحياناً . وربما لم يكن ذلك غير نشوة انجذاب كاذبة . . من أنا ؟ عندما أسعى لإدراك نفسى ، أفلت دائماً من نفسى .

فمنذ لحظة كنت أعتقد أنى أبغضك ، ويخيل إلى أننى أود تعذيبك ، أود طردك ، أود أن أطأ لك بأقدامى . . ولكن ذلك قد زال . . . إنه محظوظ. . أليس كذلك ؟

إدميـه : عمن تتحدث ؟

كلـود : عنه . . هو . .

إدميـه : ولماذا هو محظوظ يا كلود ؟

كلـود : لأنه سينتهى عما قريب .

إدميـه : ألا يفزعك الموت ؟

كلـــود : كلا . . لا أعتقد ذلك ، . إنه الفرصة الوحيــدة للإنسان . . حتى ولو لم يكن باباً يفتح .

إدميــه : أنت أشجع منى . . .

كلـــود : أتخافين من الحساب ؟

إدميــه : أجل . . لست أدرى . .

كلـــود : أما أنا فعلى العكس . . فإما أن تعرق كما نحن . . أن نغرق في النوم .

إدميــه : لماذا تبتسم ؟ فيم تفكر ؟

كلـــود : هل تذكرين أعالى « سان ـــ لو » . . ذلك المكان الذى تنهال فيه الأرض فجأة . . كان هناك أخدود عظيم أخضر يجرى في أعماقه نهر « رافينوز » . . فإذا كانت السماء صافية لمحنا « القمم الثلاث » عند الطرف الآخر من الوادى . . فلنذهب هــناك ذات مساء بعد العشاء كما كنا نفعل في الأيام الخوالى ، ثم . . .

إدميــه : (في فزع) ـــ كلا . . كلا . . لاأريد . .

فيايسى : (من وراء الكواليس) . . ولكن . . كلا . .

كلا يا آنسة . . يجب أن أخطر السيد الراعى أولا .

(تدخل)

كلــود : ماذا هناك يا فيليسى ؟

فيليسى : تقول لى إنها الآنسة أوبونو ومعها الصغير رينيه . .

كاود : لماذا قلت إننى هنا ؟

فيليسى : حسن . . أولست هنا حقاً ؟ (كاود وإدميه يتبادلان النظرات) لتتفضل الآنسة بالدخول ؟

المنظر الثاني عشر

الأشخاص أنفسهم – الآنسة أوبونو – الصغير رينيه

الآنسة أوبونو : صباح الخير يا سيدتى ، صباح الخير يا سيدى الراعى . . أرجو المعذرة عن حضورى في مثل هذه الساعة ، ولكنه يوم خروج رينيه . . وقد قضينا فترة بعد الظهر كلها في القيام ببعض المشاوير .

كلــود : ولكن . . هذا لطيف منك ، على العكس من ذلك.

الآنسة أوبونو : وقد حرصنا على الحضور اليوم لأنه يوم ذكرى زواجكما .

إدميــه : ٢١ ديسمبر ، هذا حق . . هذا حق

الآنسة أوبونو : (مخاطبة رينيه) حسن ، تستطيع أن تقدم باقتك إلى مدام ليموان . إذا كان من الممكن أن توضع في الزهرية هذه اللحظة . .

(رينيه يقدم الباقة إلى إدميه) . .

إدميه : هذا لطف عظيم منك .

كلود : أجل ، حقيقة . .

الآنسة أوبونو : هذا أقل مايجب ، حين أفكر في كل ماتدين به لك.. إن والدته (تشير إلى رينيه) كلفتني بأن أبلغكما تحيتها .

كلود : كيف حالها ؟

الآنسة أوبونو : كما هي دائماً . . ولكنها لاتشكو ، وتردد دائماً قولها : « يعلم الله وحده ماذا كان يصبح مصيرى لولا السيد والسيدة ليموان » .

إدميه : كيف ؟

الآنسة أوبونو : حسن ، ألا تذكران أنكما أنتما اللذان أدخلتماها شارع « ميشيل بيزو » ؟

كلود : هذا حق ، إنها الآن هناك .

الآنسة أوبونو : عند راهبات شارع « ميشيل بيزو » .. وهي تقول : « إن الناس جميعاً ظرفاء معي » ..

كلـود : لحسن الحظ ..

الآنسة أوبونو : وكلفتني أيضاً بأن أخبرك أنها تصلي كثيراً من أجلك يا سيدي الراعي ، وإن كنت بكل تأكيد في غير حاجة إلى صلواتها ، كما أنها تصلي أيضاً من أجل السيدة ليموان ، والآنسة أسموند .

كلـود : شكراً .. شكراً .

الآنسة أوبونو : وكما تقول دائماً ، إن الرعاة من أمثالك نادرون ..

رينيه الصغير : هل أستطيع أن أحمل تحيات العام الجديد لعرابتي ؟

الآنسة أوبونو : يقول ذلك لأنه ذاهب إلى والدتي في « شارانت » في العام الجديد ..

إدميه : هذا حق .. لقد نسيت أن « أسموند » عرابته .. (تذهب إلى مؤخرة المسرح وتنادي « أسموند ! أسموند ! ») ..

أسموند : (من وراء الكواليس) .. ماذا هناك ؟

إدميه : ابنك بالتعميد هنا ، ويريد أن يقول لك طاب يومك ... إنه الصغير « رينيه أوبونو » ..

الآنسة أوبونو : كلا ، إن اسمه رينيه « فيراندون » ، اسم زوج شقيقتى . .

إدميـــه : صحيح ، أرجو المعذرة . . إنه فيراندون الصغير يا أسموند .

أسموند : (من الخارج) . . إننى أعد حقائبى .

الآنسة أوبونو : هل تستعد الآنسة أسموند للسفر ؟

إدميـــه : إنها تتأهب لوظيفة تشغلها .

الآنسة أوبونو : لقد كانت جادة دائماً . ومن الطبيعى أن تكون وظيفة . . شيئاً . .

كلـــود : وظيفة مدرسة . .

الآنسة أوبونو : حقاً ؟ أظن أن ذلك سيكون عند أشخاص تعرفونهم.

كلـــود : عند ذلك السيد الذى فقدت زوجته عقلها . . .

الآنسة أوبونو : ياللفظاعة ! كم يرى الإنسان من أشياء !

كلـــود : إن له بنتين صغريتين . .

الآنسة أوبونو : ولاشك أن هذا السيد قد بلغ عمراً معيناً . . أنـــا واثقة من أنها ستكون أما حقيقية لهاتين البنتـــين العزيزتين .

سموند : (توارب الباب) . . هأنذا يارينيه . . إذا أردت أن تدخل . طالب يومك ياآنسة ، أدخلى أنت أيضاً لحظة .

الآنسة أوبونو : إنى سعيدة كل السعادة لرؤيتك . .

رينيه الصغير : (أثناء دخوله) . . أمى ! أتمنى لك حياة طيبة سعيدة .

(كلود وإدميه يبقيان وحدهما) . .

إدميه : انظر ، انظر ، هذا ما ينبغى أن نعيش من أجله فى الوقت الحاضر .

كلود : (غارقاً فى أفكاره) . . أن يعرف المرء على ما هو عليه . .

(ستار)